

الخطابُ والخطابُ المضادُ رسالةُ المنيح لأبي العلاء المعري: دراسة في النصِّ والنصِّ الموازي

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٠٩/٦/١٨ م تاريخ قبوله للنشر: ٢٠٠٩/١٠/١٨ م

محمد موسى العبسي* و محمد محمود الدروبي**

ملخص

عَرَضَ هذا البحث لِدَرْسِ أنحاء بناء المعنى في "رسالة المنيح" لأبي العلاء المعري. فَدَرَسَ النصوصَ الموازية للرسالة: المقاربات النقدية، واسم المؤلف، والتمهيد، والعنوان، والمقدمة، والخاتمة؛ وكشف ما يمكن أن تبنيه من آفاق الخطاب. ثم درس ما اشتمل عليه النص نفسه من خطاب، واستقصى الأساليب المختلفة التي أنتجت ذلك الخطاب، كالأساليب اللغوية والأساليب البلاغية. واجتلى ما تضمنه النص من خطاب مضاد، واستقصى معالم الاستراتيجية التلميحية التي أنتجته، كانتهاك قوانين الخطاب، والتناقض العملي والتناقض المنطقي.

Abstract

This research aims to study the perspectives of establishing meaning in "AL-Maneeh's Letter" to Abu AL-Ala' AL-Ma'ari. It studies the paratexts of the Letter: The critical readings, the name of the author, the title, the introduction the conclusion, and the revelation of the potential discourse it might generate. It then examines the discourse that the text itself contains and explores the different methods of generating discourse such as the linguistic and the Rhetorical. It further reveals the counter-discourse that the text contains and the implication strategy that it employed and generated; such as the violation of discourse rules, as well as practical and logical contradictions.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت.

** أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت.

الخطابُ والخطابُ المضادُ رسالةُ المنيح لأبي العلاء المعري: دراسةٌ في النصِّ والنصِّ الموازي

سننوّفّر في هذا البحث على جلاء أنحاء بناء المعنى وإنتاجه، في طرف من ترسل أبي العلاء المعري، مستعينين تراثنا النقدي القديم، ومُستترّفين ما أفضى إليه النقد الحديث، في مضمار المقاربة التداولية (pragmatics) خاصةً، من تدابير لتحليل الخطاب. واصطفينا لهذه الغاية، من بين صنائعه في هذا الفن، رسالة من ديوان رسائله هي "رسالة المنيح"؛ لتحقيق النظر فيما تشي به نصوصها الموازية من خطاب أو آفاق للمعنى، وما ينطوي عليه نصّها من خطاب أو خطاب مضادّ.

❖ النصوص الموازية: آفاق الخطاب:

عني النقد الحديث بمسألة المنطقية المحيطة بالنص الدائرة في فلكه، وقد اصطُح على تسميتها "النصّ الموازي" (paratext)، ويشمل شبكة من: العناصر النصّية، والعناصر خارج النصّية التي تصاحب النصّ وتحيط به؛ فتجعله قابلاً للتداول، وتكوّن أفقاً يوجه قراءته وتأويله^(١)، أي أنها تُشكّل عتبةً تسمح للقارئ بدخول النصّ^(٢)، ليلوذ بها في خلال بناء المعنى.

وينقسم النصّ الموازي، من حيث مُحايّثته للنص أو مفارقتة إياه، إلى قسمين رئيسيين: أما الأول فالمُصاحب للنصّ (peritext)

(éritexte): وهو ما يدور في فلك النصّ من مُصاحبات، كاسم الكاتب، والعنوان، والإهداء، والاستهلال، والمقدمة، والتصدير، والتمهيد، والملاحظات، والحواشي، والهوامش، والغلاف، وصفحة العنوان، وكلمة الناشر،...^(٤). وأما الثاني فالمحيط النصّي (epitext, epitexte): ويندرج فيه كل الخطابات الموجودة خارج النصّ المتعلقة به، كالاستجابات، والمراسلات العامة والخاصة، والتعليقات، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات، والمناقشات، والقراءات النقدية، والنصّ القبلي...^(٥). وتندرج مُستملات هذين القسمين المتقدمين في قسمين آخرين، من حيث مصدر النصّ الموازي: ذاتي، وغيري.

ويقتضي الدرس المنهجي أن نعرّض، في البدء، للمحيط النصّي المتعلق برسالة المنيح، ويضم المقاربات النقدية، والتمهيد؛ وهو يبني في ذهن القارئ معنى قبلياً للنص، ويرسم أفقاً لتوقعه، قبل الدخول إلى النصّ. وسيكون هذا المعنى موضع امتحان في خلال مُدارسة النص. ثم نعرض للمُصاحب النصّي، ويضم اسم المؤلف، والعنوان، والخاتمة؛ للوقوف على ما يبيّنه من آفاق المعنى.

- القسم الأول: المحيط النصّي:

١. المقاربات النقدية:

ينجلي النظر في المقاربات النقدية لرسالة المنيح عن مسألتين رئيسيتين: الأولى موقع

الرسالة من جملة رسائل أبي العلاء، والثانية زمن إملاء الرسالة.

أ- موقع رسالة المنيح من جملة رسائل أبي العلاء المعري:

ذهب الدارسون في تصنيف رسائل أبي العلاء المعري مذاهب عدة، وقد نصّوا، في الأكثر، على موقع "المنيح" منها. ويسعنا أن نَميز أربعة مذاهب رئيسة:

أما المذهب الأول فهو تصنيفها بحسب طولها، وهي على هذا ثلاثة أقسام^(٦):

- الأول: الرسائل الطوال، كـ"رسالة الغفران" ورسالة الملائكة.

- الثاني: رسائل متوسطة ليست بالطويلة وليست بالقصيرة، كـ"رسالة المنيح" و"رسالة الإغريض".

- الثالث: رسائل قصار، كنحو ما تجري به العادة في المكاتبات.

وأما المذهب الثاني فتصنيف الرسائل بحسب موضوعاتها، وهي على ذلك متعددة الأقسام، فمنها ما جاء في المديح كـ"رسالة المنيح" و"رسالة الإغريض"؛ ومنها ما جاء في التهنية كـ"رسالة الهناء"، ورسالة في التهنية بمولود، ومنها ما هو في التعازي، كالرسالة التي كتبها أبو العلاء بعد وفاة أمه إلى خاله ابن سبيكة، ومنها ما هو في الوصف، ومنها ما هو في الشفاعة كـ"رسالة الأخرسين"، ومنها ما هو في الشوق والحنين كرسالته إلى

أبي منصور خازن دار العلم في بغداد، ومنها ما هو في النقد العلمي، كالرسالة التي ردّها فيها على أبي الحسين النكتي الذي بدل اسمه وقصر كنيته^(٧).

والمذهب الثالث هو تصنيف الرسائل باعتبار العزلة، فمنها ما كتب قبل العزلة، كـ"رسالة المنيح" و"رسالة الإغريض"، ومنها ما كتب بعد العزلة، كـ"رسالة الغفران"، ورسالته، في وفاة أمّه، إلى خاله ابن سبيكة^(٨).

وأما المذهب الرابع فتصنيف الرسائل باعتبار انقسام الكتابة الأدبية إلى قسمين: أما الأول فالكتابة الإنشائية، وأما الثاني فالكتابة الوصفية. ويُراد بالأول ما ينشئه الكاتب لأول مرة، حينما تتفعل نفسه بمنظر جميل أو حادث أليم، تعبيراً صادقاً عن إحساسه بهذا أو بذاك؛ ويُراد بالثاني تعبير السامع أو القارئ عن إحساسه بما أنشأه غيره، كوصفك إعجابك أو إحساسك برسالة أو قصيدة أنشأها غيرك، وهذا مما يسمى "أدباً وصفياً"^(٩). وإلى القسم الأول ينتمي جل رسائل أبي العلاء^(١٠).

إن تصنيف رسائل أبي العلاء، وفق المذاهب الأنفة الذكر، يبني في ذهن القارئ ألقاً لتوقعات مختلفة تساعد على بناء المعنى وتوجيهه؛ فإدراجها في الرسائل المتوسطة يعني مَيِّزَ خصائصها من خصائص الرسائل الطوال وخاصة "رسالة الغفران" التي تتحوّ منحى سردياً، وكذا مَيِّزها من خصائص الرسائل

القصار التي ترمي إلى أغراض تواصلية استهلاكية مباشرة، في الأكثر.

وإدراجها في رسائل المديح يجعل توقعات القارئ، لمعاني الرسالة، رهناً بمنحى متعين قارئاً فيما درجت عليه العادة في هذا الغرض من المواضع، أي أنه يقصر المعنى على فكرة (ثيمة) واحدة مباشرة حسب. وأما اعتدائها في جملة رسائل ما قبل العزلة، فيُلْمَح إلى نفي تأثير العزلة النفسي في خصائصها البنيوية والأسلوبية والتعبيرية.

وأما اعتبار انقسام الرسائل الأدبية إلى إنشائية ووصفية، فيُشَيِّب بأنه يمكن إدراج "رسالة المنيح" في الرسائل الوصفية؛ ذلك أنها رسالة جوابية يصف فيها كاتبها رسالة تلقاها. ويتوقع القارئ، بسبب ذلك، أن تمتاز بالخصائص المتعارفة في الرسائل الجوابية، منها أن الجواب إذا كان من المرؤوس إلى الرئيس، فالواجب أن يذكر المرؤوس فصول كتاب رئيسه على نصّها، ويقصّها على وجهها من غير إخلال إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه، إلا إذا كان الكتاب الوارد على المجيب في معنى الشكر والتفريط من رئيسه له، فلا يجوز أن يذكر فصوله على نصّها؛ وإلا صار مادحاً لنفسه، ولا يجوز أن يُهمل ذكره جملة^(١١).

ب - زمن إملاء الرسالة:

أخذت الدراسات النقدية المتفرقة في

تعقب الإشارات التي تمكن من مقارنة زمن إملاء الرسالة، فقد ذهب طه حسين إلى أن أبا العلاء كتبها في شببته وقبل عزله، واستظهر على ذلك بما وقع عليه فيها من الإشارات، منها أن أبا العلاء ذكر المغربي الأب، في الرسالة، ودعا له بدوام السلطان، ومنها أن الحاكم بأمر الله قتل المغربي الأب قبل سنة أربعمائة^(١٢). والدعاء للمغربي الأب بدوام السلطان يشير إلى أنه كان حياً يرزق عندما كتب أبو العلاء رسالته. ولما كان المغربي توفي حوالي سنة ٤٠٠هـ، فإن هذا يدل على أن الرسالة كتبت قبل ذلك.

وتعقب السعيد السيد عبادة إشارات أخرى، منها ما ذكره من أن رسالة المنيح كتبت قبل رسالة الإغريض التي يصف أبو العلاء، فيها، اختصار الوزير لكتاب ابن السكيت "إصلاح المنطق" وأن الوزير قد انتهى من اختصار هذا الكتاب قبل بلوغه سبع عشرة سنة، وراجع على أستاذه سنة ٣٨٨هـ^(١٣)، وأن رسالة الإغريض أُمليت عقب وصول المختصر، وأن الذي حمل هذا المختصر إلى أبي العلاء عاد برسالة الإغريض إلى المغربي. وانتهى إلى ترجيح أن المراسلة بينهما لم تخرج عن ٣٨٨هـ، و"أن الإغريض، على ذلك، من أمالي أبي العلاء المبكرة جداً، أملاها ولما يبلغ السادسة والعشرين من عمره"^(١٤).

٢. التمهيد:

إن تقصي أنحاء إنتاج المعنى تحملنا على تقليب النظر في التمهيد، من حيث هو أحد أضرب المحيط النصي، من جهات متعددة، أهمها: زمانيته، ومكانيته، وتداوليته، ووظيفته^(١٧).

أما من جهة زمانيته: فيعد التمهيد الذي اصطنعه إحسان عباس لرسالة المنيح نصًا موازيًا بعديًا -أي أنه ظهر بعد ظهور النص- وكذا يعد هذا النص الموازي غيريًّا، وذلك يشير إلى أن إحسان عباس، وليس المؤلف، هو من يوجه القارئ إلى فهم المغزى الذي يتضمنه النص. وهذا التوجيه يصدر عن طرف من المواضع والسُّنن النقدية التي شاعت في زمن ظهوره. أي أنه رهن بأفق المُهمِّد، وهذا الأفق يتغير بتغير الأزمان والثقافات، ويترتب على ذلك تغير المعنى.

أما من جهة مكانيته: فإن التمهيد متقدِّم على النص، وموضعه هذا سيحمل القارئ على قراءته قبل أن يلج عالم النص، أي أنه سيفرض سلطته على القارئ، وسيبرمج قراءته في نحو ومعنى مُتَّعَيْنَيْن.

وأما الجهة التداولية فتتعلق بالصلة بين المُهمِّد والمتلقي. والمتلقي الذي قصَدَ إليه خطابُ التمهيد، هنا، هو القارئ الفعلي للنص، على الأخص، وليس عامة الجمهور، وهو القادر على الإفادة من ذلك الخطاب والبناء عليه؛

وحاول إحسان عباس، أيضًا، مقارنة زمن إملاء الرسالة، فذكر أن الوزير المغربي الأب اختصر "إصلاح المنطق" وأهدى إلى أبي العلاء نسخة منه، فإذا كان الوزير وُلد سنة ٣٧٠هـ، فإن اختصاره للكتاب يكون قد وقع سنة ٣٨٧هـ، وتكون الرسالة الإغريقية قد كتبت قريبًا من ذلك، أي بين ٣٨٧ - ٣٨٩هـ، وإذا كانت المصادر صرحت بأن المنيح سبقتها، فإنه من الممكن أن تكون رسالة المنيح ظهرت بين ٣٨٤ - ٣٨٦هـ^(١٥).

إن المحاولات المتقدمة لتعيين زمن كتابة المنيح، تُجمع على أن ذلك كان في شبيبة أبي العلاء وفي طور ما قبل العزلة. وعناية الباحثين بزمن كتابتها يشير إلى أنهم يعدُّون الوقوف على تلك الأحوال بعضَ رهانات المعنى والعوامل الفاعلة في إنتاجه، وباعتبار ذلك فإن دراسة المنيح، في نظرهم، ستسلط الضوء على طرف من سمات نثر أبي العلاء في ذلك الطور.

وهذا ما قال به طه حسين الذي انتهى إلى أن من أهم خصائص نثر أبي العلاء، فيما قبل العزلة، كثرة التكلف، وشيوع السجع والغريب والمبالغة. وبالجمله فقد عبث التكلف برسائله حتى أخفى أخلاقه وميوله الفطرية، فرسائله إنما هي ألفاظ مرصوفة، وكلمات مقرون بعضها إلى بعض، يزينها السجع وتظهر فيها المبالغة غير المألوفة^(١٦).

ذلك أن إحسان عباس عدّ ما عرّض له في تمهيده "صورة مبسطة تصلح أن تكون مدخلاً لقراءة الرسالة" (١٨).

ومن أهم وظائف التمهيد -سواء أكان ذاتياً، من صنيع المؤلف نفسه، أم غيرياً- اقتراح مفتاح إجرائي لفهم النصّ، وضمان قراءته قراءة جيدة، وبيان السياق الذي يندرج فيه، وكشف استراتيجيته البنائية. ومن مآخذه أن المُهمّد يقترح على القارئ قراءة مُتعيّنة للنص (١٩).

وقد توخى إحسان عباس -في تمهيده لتحقيق نص "رسالة المنّيح"- جلاء مناسبتها وبواعث كتابتها؛ إذ ابتدأ كلامه بالكشف عن هوية مَنْ أُرسلت إليه الرسالة، فذكر أنه الوزير أبو القاسم الحسين ابن علي المغربي، ثم بيّن منزلته الاجتماعية، فأشار إلى المناصب التي تقلدتها أسرته في ظل سيف الدولة الحمّاني، وفي ظل الدولة الفاطمية، والمناصب العليا التي تولاها هو حيثما حلّ حتى توفي سنة ٤١٨ هـ (٢٠).

ثم أخذ في الكشف عن وجه الصلة بينه وبين أبي العلاء، فذكر أنه نشأ في حلب وعرف معرة النعمان، وأن أبا العلاء كان يُكبر والده ويُجلّه، وقد مدحه في واحدة من قصائده في "سقط الزند"، وأثنى عليه في رسالة الغفران بقوله: "لقد كان ذلك الرجل سيّداً، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيداً ولمن قوي منهم

وإذا ودونه للنوّب مُحادّاً" (٢١).

ثم بيّن أن "رسالة المنّيح" تشكل حلقة في العلاقة بين المعرة وآل المغربي؛ إذ يبدو أن أبا القاسم ظل يوثق صلاته بأهل المعرة، بدليل ما تضمنته هذه الرسالة من إشارة إلى أن الوزير أبا القاسم أرسل كتاباً إلى أهل المعرة (٢٢): "وذلك أنا معشر أهل هذه البلدة ... ألقى إلينا كتاب كريم صدر عن حضرة السيد الخبر ..." (٢٣). وخُصّ أبو العلاء في هذا الكتاب بسلام بعث في نفسه الارتياح والسرور. وكان الوزير أرفق في طي كتابه قصيدتين: ميمية ورائية قرأهما أبو العلاء مع أهل المعرة. وانتهى عباس إلى احتمالين حاصلهما أن "أهل المعرة قد أجمعوا على أن يكون متولي الإجابة عنهم أبو العلاء، أو لعله تهمّم إلى ذلك بحافز من نفسه" (٢٤) فكتب رسالة المنّيح.

لقد نحا إحسان عباس، في تمهيده، منحى تاريخياً سيرياً في تسييق النصّ وتحري مناسبته؛ لما يراه لذلك من أثر في قراءة النصّ. وتنبّيه على منزلة الوزير وعلاقته بأبي العلاء، إنما يشير إلى البون الاجتماعي بينهما؛ فالعلاقة بينهما هي علاقة الرئيس بالمرؤوس؛ وهذا ما أفضى به إلى نتيجة مُحصلها أن الرسالة تمثل لعبة "الأوج والحضيض" أما الأوج فيمثله الوزير ورسالته وشعره، وأما الحضيض فيمثله أبو العلاء وأهل المعرة وكل كاتب أو شاعر يحاول أن يلحق بالوزير (٢٥). والمُهمّد هنا

إنما يكشف عن محور الرسالة الدلالي وهو ثنائية "الأوج والحضيض".

وما انتهى إليه عباس قد يُرسّخ في ذهن المتلقي نتيجة مؤدّاه أن أبا العلاء أقرّ بتفوق الوزير وسلّم له ذلك. وهذه النتيجة قد تحمل القارئ، في تأويله للنص، على امتثال منحنى واحد مُتعيّن، وتلقّي في أفق انتظاره توقّعا مؤدّاه أن ما يصدر من مكاتبات عن الأدنى، وهو أبو العلاء هنا، إلى الأعلى، وهو الوزير، يوافق مقتضى الرسوم التي جرت عليها أعراف القوم وعاداتهم، في مخاطبة ذوي المناصب العليا، من الابتداء والاختتام المناسبين، ومعرفة طرائق المخاطبة الملائمة للمقام والموضوع، وميّز مواضع التصريح من مواضع التلميح والتورية والكناية، واستعمال الأساليب المناسبة المفضية إلى الغاية، ووضع الألفاظ مواضعها، وامتثال ما يقتضيه ذلك كله من التعظيم والتملق والنفاق^(٢٦).

وأما ما ذكره عباس، من أن أهل البلدة ربما أجمعوا على أن يتولى أبو العلاء الرد عنهم، فإنه ينزل بالرسالة من مقام الأدب والمُتخيل إلى مقام المكاتبات التواصلية الاستهلاكية الخالصة. وترتّب على ذلك أنه طابق بين عالم النصّ والعالم المرجعي الخارجي الواقعي.

إن ما نقصّناه، فيما تقدّم، من آفاقٍ محتملةٍ للمعنى ناتجةٍ عما اقترحته أنواع المحيط النصي،

سيكون موضع فحص وامتحان في خلال مُدارسة النصّ؛ لِنَتَحَقَّق مَبْلَغَ التقارب أو التباعد بين آفاق المعنى التي بنتها النصوص الموازية وآفاق المعنى التي تتكشف عنها مقارنة النص نفسه.

١ - القسم الثاني: المصاحب النصي:

١. اسم المؤلف:

عندما يُنسب النصّ إلى مؤلّف مُجمّع على أنه حُجّة، فإنه حينئذ يكون كلاماً مشروعاً ينطوي على سلطة^(٢٧)، أي أن اسم المؤلف يصبح مرجعية خطابية، ويؤثر في توجيه القراءة وتشكيل أفق انتظار القراء^(٢٨).

والنصّ الذي بين أيدينا يُنسب إلى مؤلّف طبّقَ شهرته الآفاق، وتواترت له، بين أكثر القدماء والمُحدّثين صورة نمطية حاصلها: أنه كان ضريراً عمي في صباه، وكان يتزهد لا يأكل اللحم ويلبس خشن الثياب. اعتزل الناس وسمى نفسه رهين المحبسين. وحكيّت عنه حكايات مختلفة في اعتقاده، حتى رماه بعض الناس بالإلحاد والزندقة، وعارض سوراً من القرآن. سمع كلاماً من أوائل أقوال الفلاسفة حصل له به شكوك، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال، ثم ارعوى ورجع واستغفر واعتذر.

وكان نادرة زمانه، ظريفاً، عالماً من أعلم أهل زمانه، متضلّعاً في فنون الأدب، إذا

هو المسؤول عما ينطوي عليه العنوان من رسالة. ويشير أيضاً إلى أنه يدرك التأثير البالغ للعنوان ووظائفه الشعرية^(٣١) التي يضطلع بها. ومن جهة مكانيته، يعد العنوان بمنزلة الرأس للجسد^(٣٢)، ويعد عقداً قرائياً بينه وبين جمهوره وقرائه^(٣٣)، فهو يبني أفقا لتوقع المعنى في ذهن القارئ.

ومن الجهة التداولية، يبسط عنوان أبي العلاء، بما هو كتاب جوابي، أسئلة مهمة، من نحو: من المتلقي المقصود بالرسالة التي يتضمنها هذا العنوان؟ أهو الذي كتب إليه الكتاب الجوابي؟ أم هو جمهور المتلقين عامة وقارئه الفعلي خاصة؟. هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عنها في السطور الآتية.

ومن الجهة الوظيفية الإنجازية يمكن رصد عدة وظائف رئيسة لعنوان أبي العلاء^(٣٤):

من ذلك تعيين هوية النص، فابتدأه بلفظ "رسالة" يشير إلى نوع الكتابة الذي يندرج فيه النص^(٣٥)، وهو الترسُّل، وهذا النوع يُلمح إلى الخصائص والمواضعات والسُّنن (الشُّفَرَات) التي تميزه مما سواه من أنواع الكتابة الأخرى، كالخطبة والمقامة "وأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسُّلاً، أو احتجاجاً، أو حديثاً. ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"^(٣٦). ومن تلك السُّنن ما يتعلق بالابتداء بالبسملة والحمدلة والتصلية والسلام والبعدية، والختم بالحمدلة والتصلية والسلام.

حاجَّه خصم فهو محجوج. أخذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار. كان غزير الأدب، جزل الكلام، فصيح اللسان، عالماً باللغة حافظاً لها، يغرب في اللغة، شاعراً مشهوراً، حسن الشعر، لا يمدح أحداً. وله تصانيف كثيرة مشهورة بعضها في اللغة، وشعره المعروف بسقط الزند سائر مشهور^(٣٩).

وهذه الصورة النمطية ستؤثر في توقعات القارئ، بأن تُشكِّل بعض أحكامه النقدية المسبقة، بإزاء خصائص أدب أبي العلاء ومضامينه، فقد يذهب إلى أن ما يشيع في هذه الرسالة من مديح إنما هو مديح صادق؛ بسبب ما تواتر عنه من أنه لا يمدح أحداً، وقد يردُّ بعض خصائصها إلى عماه وعزلته، وإلى حيرته الفكرية والعقدية في شبابه، وإلى تفوقه في اللغة والأدب. وما إلى ذلك من أمور سنعرض لها في المباحث القابلة.

٢. العنوان: بين النور والعممة:

يُعرف العنوان بأنه مجموعة العلامات اللسانية، من كلمات أو جمل...، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعيِّنه وتُلمح إلى محتواه الكلي وتجذب جمهوره المستهدف^(٣٠). ويسعنا درس عنوان أبي العلاء "رسالة المنيح" من جهاته المختلفة:

فمن جهة زمانيته، يترجح أنه ظهر مع ظهور النص، وهذا يشير إلى أن أبا العلاء

ومنها ما يتعلق بالدعاء وأسلوب الخطاب ... وللابتداء أو الختم أو الدعاء أو الخطاب على هذه الصورة أو تلك دلالاته المخصوصة^(٣٧).

ولكن لفظ "رسالة" يحيل، أيضاً، إلى نوع من المؤلفات المتعلقة ببعض العلوم والمعارف. وهذه الإحالة قد تلمح إلى أن العنوان إخباري وتواصل محض، وأنه ذو دلالة تعيينية مباشرة تُرجع إلى قدح المنبج من حيث هو أداة تستعمل في الميسر. وحينئذ نتوقع أن موضوع الرسالة يتصل بالميسر مباشرة وبنوع من أنواع قداحه (= سهامه)، على شاكلة كثير من الرسائل والكتب التي اصطنعها القدماء. في المعارف والعلوم المختلفة.

وإذا عرفنا أن النص رسالة جوابية، تبيّن لنا أن الدال قد انفصل عن ملوله الظاهر، وتبين لنا أن انزياحاً دلالياً وقع في العنوان، فأخرجه من مضمار الوظيفة الإخبارية المباشرة والدلالة التعيينية، إلى مضمار الشعريّة، والوظيفة الموضوعاتية (التيّمة Thématique) التي تنحو منحى القيمة الرمزية والدلالة الإيحائية^(٣٨) المتصلتين بالبوّرة الدلالية للنص. وينبني على ذلك أن يكون المتلقي الذي يتوجه إليه العنوان، وكذا النص كله، هو جمهور المتلقين عامة وقارئه الفعلي خاصة.

وبذلك الاعتبار يكون عنوان هذا النص -بحسب ما ذهب إليه الجرّار- أهم مفاتيح السنن (= الشفرة) الرمزي التي يدخل بها

المتلقي إلى النص^(٣٩)، فيُطلق الفعل التدليلي والتأويلي؛ لما ينماز به من وجه سيميائي إشاري، ولأنه أعلى اقتصاد لغوي ممكن يفرض أعلى تفعيل قرائي ممكن^(٤٠). وهذا يقتضي مدارس الاشتغال الدلالي لعنوان الرسالة، من حيث هو بنية مستقلة، ثم تبيّن اشتغاله الدلالي في تعالقه مع متن النص وبنيته.

تتّشعب "المنبج"، من الوجه الإشاري، جملة من الدلالات الإيحائية، أهمها:

- أنه من علامات الخير والكرم؛ لكونه من قداح الميسر الذي يقترن بالكرم وفعل الخير المتمثل في مساعدة الفقراء. والميسر ضرب القداح على أجزاء الجزور قماراً^(٤١)، فقد كان العرب، في الشتاء عند شدة البرد وجذب الزمان ونعذر الأقوات على أهل الضرّ والمسكنة، يتقائمون بالقداح على الإبل، ثم يجعلون لحومها لذوي الحاجة منهم والفقراء. فإذا فعلوا ذلك اعتدلت أحوال الناس وأخصبوا. وكانوا يمدحون بأخذ القداح ويسبون بتركها. ويسمّون المؤسّر الذي لا يدخل معهم في الميسر، لبخله، ولا يتحمّل الغرم لإصلاح أحوال الناس: (البرم)^(٤٢)، وعلى هذا مدح الأعشى قوماً بأنهم يجعلون أقوات الفقراء منهم على الياسرين بالقداح؛ وهم أهل الثروة، والأجواد، فقال^(٤٣):

المُطعمو اللحم إذا ما شتوا

والجاعلو القوت على الياسر

- ومنها أنه علامة خسارة؛ لأنه قدح خاسر في الميسر، ولا خير فيه، وهو بحسب وصف ابن قتيبة المنيح المذموم^(٤٤). فالقدح عشرة؛ ذوات الحظ منها سبعة وهي: الفذ، والتوأم، والرقيب (ويسمى الضريب)، والحلس، والنفاس، والمُسبِل (ويسمى المصْفَح)، والمعلّى؛ وثلاثة أغفال لا حظوظ لها وليست لها فُرْضٌ ولا أنصاء ولا عليها غُرم وهي: السقيح، والمنيح (ويسمى المستعار والشجير والغريب)، والوغد^(٤٥). وقيل: الأغفال أربعة قداح: أولها المصنّر ثم المضعف ثم المنيح ثم السقيح^(٤٦). واللواتي بلا حظوظ لا علامة عليها؛ ولذلك تدعى الأغفال، وإنما تجعل الأغفال بين ذوات الحظوظ لتجول فيها فيؤمن من معرفة الضارب بها، وقيل إنما يُنقل بها القداح كراهية التهمة^(٤٧). وذكر ابن السكيت أن ابن مقبل قال في هذا القدح:

مُقْدَى مُؤَدَى بِالْيَدَيْنِ مُلْعَنٌ

خَلِيعُ قِدَاحٍ فَائِزٌ مُتَمَنِّحٌ

وعلق عليه بقوله: "أي مستعار، والمنيح أيضاً يزداد في القداح، وهي سبعة والمنيح ثامنهما، وليس له غنم ولا عليه غرم إنما تكثر به السهام"^(٤٨).

ومما يعضد ذلك ما روي من أن جابرَ ابنَ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ حزام قال: "كنت مَنِيحَ أصحابي يوم بدر"^(٤٩). وفسر كلامه بأنه لم يكن ممن يُضربُ له بسهم مع المجاهدين؛

لصغره، فكان بمنزلة السهم اللغو الذي لا فوز له ولا خسر عليه^(٥٠). ومما يعضده، أيضاً، قولُ الكُمَيْت يهجو رجلاً جاعلاً إياه بمنزلة المنيح المذموم^(٥١):

مَنِيحٌ خِصَالٌ لَا تُعَدُّ خِصَالُهُ

خِصَالاً زَمِيلُ حَظُّهُ الْكِفْلُ مُحَقَّبٌ

أراد أن هذا الرجل بمنزلة المنيح المذموم. - ومنها أنه علامة تيمُن وفوز؛ وهو بحسب وصف ابن قتيبة المنيح الممدوح، وهو المستعار. ويُستعار للتيمُن والثقة بفوزه. وهو قدح يُمنح، أي يُستعار، فيدخل في القداح ثقة بفوزه أي قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ^(٥٢). ويشهد له قول عمرو بن قميئة^(٥٣):

بأيديهم مقرومة ومغالق

يعود بأرزاق العيال منيحها

وذهب ابن قتيبة إلى أن المنيح، في هذا البيت، ليس يجوز أن يكون إلا قدحاً ذا حظ يعود على العيال بحظه^(٥٤).

وسمّي هذا القدح مَنِيحاً بالامتناح وهو الاستعارة، وفي ذلك قال ابن مقبل^(٥٥):

إِذَا امْتَنَحْتُهُ مِنْ مَعَدٍّ عَصَابَةً

غَدَا رَبُّهُ قَبْلَ الْمُقْبِضِينَ يَقْدَحُ

وهو يشير إلى قدح كان لبني عامر بن صَعَصَعَة لا يُجعل في القداح إلا خرج فائزاً أبداً، وإذا استعار هذا القدح أحدٌ من صاحبه فأدخله في جملة قداح الأيسار، فهو لثقته بفوزه وأمنه من خيبته، يقدح ناره ويُهَيئُ قدوره قبل

الإقاضة به^(٥٦).

وقال ابن السكيت في تعليقه على بيت عروة بن الورد^(٥٧):

مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ

بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ

"والمنيح ها هنا: قدح مستعار سريع الخروج والفوز، يُستعار فيُضْرَبُ به، ثم يردُّ إلى صاحبه، والعارية تُسمى المنحة"^(٥٨).

- ومنها أنه علامة غريبة؛ فقد سُمِّيَ هذا القدح الشَّجِيرَ والغريب، لأنه يُسْتَعَارُ فيدخل في قداح قوم ليس منها فيُشَبَّهَ بالغريب في القوم، ويُضْرَبُ به المثل في الغربة^(٥٩). والشَّجِيرُ: الغريب من الناس والإبل. وربما سُمِّوا هذا القَدَحُ شَجِيرًا، إذا أَلْقَوْهُ فِي الْقَدَاحِ التي ليست من شجرها^(٦٠).

إذا كنا أَلْجَأْنَا النظر، آنفًا، في العنوان من حيث هو بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص، واجتئنا ما يمكن أن يثيره من معانٍ إيحائية كامنة تلمح إلى أنه ينحو إلى الشعرية، فإننا سنفاوضه، فيما يأتي، من وجه آخر تُجاوِزُ فيه الإنتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها، متجهةً إلى النص، ومشتبكة مع دلاليته، ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها^(٦١).

يسَعُنَا، تأسيسًا على ما تقدم، أن نقترح فرضًا استكشافيًا أوليًا حاصله أن العنوان ينطوي على فكرة (ثيمة) الفوز والخسارة، وهو على هذا يرسم مسارًا تصويريًا لمنحى سردي كامن

يتضمن سجلاً بين برنامجين سرديين: أولهما لفاعل والآخر لفاعل مضاد. والكشف عن ماهية هذا السجل وماهية ذَنبِكَ الفاعلين ستكون مرمى تدبرنا في المباحث القابلة.

وقد اشتمل النص على عدة من الإشارات الدالة على فكرة السجل هذه، منها قوله: "وَأَحْسَبُهُمْ يُجْرُونَ الْقُرْعَةَ لِلظَّفَرِ بِهَا كَمَا جَرَتِ الْقُرْعَةُ مِنْ أَجْلِ كَفَالَةِ الْبُتُولِ"^(٦٢)، وقوله: "وَلَوْلَا مَا حَظَرَهُ الدِّينُ مِنَ الْقِمَارِ ... لَضَرَبْنَا عَلَيْهِ بِالسَّبْعَةِ الْفَائِزَةَ ..."^(٦٣)، وقوله: "وتناضلوا فما تفاضلوا"^(٦٤).

ولكن أهم هذه الإشارات قوله: "لَا يَطْمَنُّ خَلْدُ الْمُنَافِسِ الشَّحِيحِ إِلَى أَحْكَامِ النَّافِسِ وَالْمَنِيحِ"^(٦٥)؛ لصلته الشديدة بالعنوان. واختيار المنيح دون القداح الأخرى التي لا حظ لها ليكون عنوان الرسالة، يجعل هذا العنوان مراوعًا وإشكاليًا؛ لما له - أعني المنيح - من دلالات إيحائية مختلفة، فهو علامة خسارة تارة، وعلامة فوز تارة أخرى، وعلامة غربة تارة ثالثة. ودلالة الجمع بين المنافس، وهو من القداح الفائزة، والمنيح، هي الجمع بين الضدين؛ من أجل الإحاطة بحالتي الفوز والخسارة. وهذا يعني أن السياق يقتضي تفعيل كون المنيح هنا علامة خسارة، واستبعاد كونه علامة تيمُّن وفوز. فالمقابلة إذن هي بين الفائز والخاسر.

والموصوف بـ"المنيح" أو المُشَبَّه به ليس

قارئاً حاصله أن بين المتلفظ والمخاطب بوئاً اجتماعياً يقتضي، بحسب التراتبية الاجتماعية، أن يحتذي الأدنى (المتلفظ = المروؤوس) المواضع المتعارفة في مخاطبة الأعلى (المخاطب = الرئيس)، من التملق، والتورية والمداورة، واستعمال أساليب متعينة في الخطاب تليق بالمقام.

وفي الجزء الخاص بالتخلص يطرد تعظيم المخاطب والتملق له والإشادة بكتابه^(٦٩): "وَهَبْ لَنَا شَرْفَ عَظِيمٍ، وَأَلْقِ إِلَيْنَا كِتَابَ كَرِيمٍ، صَدَرَ عَنْ حَضْرَةِ السَّيِّدِ الْحَبْرِ، وَمَالِكِ أَعْنَةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ قِرَاءَتَهُ نُسْكَ وَخَتَامُهُ، بِلِ سَائِرُهُ، مِسْكَ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [٢٦: المطففين]. وقد جاء هذا الجزء في جمل متعاقبة متوازنة أو متوازية، كلياً أو جزئياً، لتؤكد بإيقاعها شعرية الرسالة. ويمكن كتابتها فضائياً^(٧٠) على النحو الآتي:

متعينا، أهو كتاب المتلفظ الجوابي؟ أم هو كتاب السيد الذي وصل إليه؟ أم هو وصف لكل من حاول منافسة كتاب السيد؟. وسنحاول في المباحث القابلة أن نحتال للإجابة عن هذه الأسئلة.

٣. الاستهلال: الميثاق والنمذجة:

إن من أهم وظائف الاستهلال، عامة، تأكيد ما بناه العنوان من أفق للتوقع، أو نفية، أو تعديله. واستهلال رسالة أبي العلاء يخرق بعض ما اصطاح عليه المترسلون من خصال ما يمكن أن نسميه "عمود الترسل"؛ ذلك أنه لم يشتمل على البسملة^(٦٦) والحمدلة والتصلية والسلام والبعديّة. وهذا مما يعدل بالرسالة من التقريرية إلى الشعرية أو الأدبية، ولعل ابتداءها بالإشادة بفنون الأدب لدى المخاطب: "إن كان للآداب -أطال الله بقاء سيدنا- نسيم يتصوّع... فقد فغمنا، على بعد الدار، أرج أدبه..."^(٦٧) يؤكد أدبيّة الرسالة، ويشير إلى أننا بسبيل نص أدبيّ جاء رداً على الكتاب الأدبيّ الذي استقبله المتلفظ. وبناء على هذا يلتقي الاستهلال مع العنوان في تأكيد الأدبية. والوصف الذي خلعه المتلفظ على المخاطب "سيدنا"، والدعاء له بطول البقاء، من علامات المرتبة العلية التي يتسمها. و"سيدنا" يشي أيضاً بأنه من أرباب القلم^(٦٨)، وبهذا الاعتبار يعقد الاستهلال مع المتلقي ميثاقاً

[illegible]

الأبرار إلى حُسْنِ العاقبة ﴿إِنَّ النَّابِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢٢: المطففين]، بحسب ما قَدَّمَ كُلُّ طرف من الأعمال؛ وَتَحَوَّلَ حَالُ الْفُجَّارِ بَعْدَمَا ﴿كَانُوا مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩: المطففين] إلى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [٣٤: المطففين]. فالتنافس المقصود في الآيات إنما هو في النعيم الذي وصفَهُ تعالى، وَذَكَرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ جَزَاءَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٧١).

وإذا كان المديح في الترسل -كما في الشعر - مؤسسًا على مساواة أقدار الممدوحين لكل مقام مقال"، وإذا كانت ثمة مواضع قارة في مخاطبة الرؤوس للرئيس، من التعظيم والتملق والتوفير والتعزير، في المُقْتَتَح والمُتَنِّ والمُخْتَمِّ؛ فإن المديح سَاعَتَنَدَّ لا يكون للرئيس، ولكن للمرتبة التي يَسْتَمُهَا. أي أن المديح لا يكون مقيدًا بإنسان مُعَيَّن، بل يكون كلامًا مطلقًا و"مُمنَجًّا" يَصْدُقُ على كل من تبوأ تلك المرتبة. ويعضد ذلك ما قاله أبو تمام ناصحًا

لكنَّ ذلكَ الاطرَادَ كَسَرَهُ وروُدُ الآيةِ
الكريمةِ المقتبسة؛ ليفضي هذا الكسرَ إلى فراغٍ
دلالي متصل بالأمر المُتَنَافَسِ فيه، وليجعل
فكرة التنافسِ البُورَةَ الدلاليةَ أو البنيةَ الدلاليةَ
التي سيتأسس عليها خطاب الرسالة. ففكرة
التنافس، بما تتطوي عليه من طرفين متنافسين
-فائز وخاسر- أو برنامجين متضادين: لفاعل
وفاعل مضاد، حاضرة مع طالعَةِ الرسالة،
وهذا يعضد ما أشار إليه العنوان. والسؤال
الذي ينبسط هنا: فيم يتنافس المتنافسون؟ أفي
الفوز بكتاب السَيِّدِ الحَبْرِ الذي أُلْفِيَ إلى
المُتَنَافِظ، كما يَشْفُ عن ذلك ظاهر الكلام؟ أم
في أمر آخر؟

تُحَوِّجُنَا الْإِجَابَةَ، عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، إِلَى
اِكْتِنَاهِ الْعِلَاقَاتِ التَّنَاصِيَّةِ الْعَمِيقَةِ بَيْنَ الْآيَةِ
وَنَصِّ كِتَابِ السَّيِّدِ، وَباعتبار ذلك نجد أن
السِّيَاقَ النَّصِّيَّ الْأَصْلِيَّ، الَّذِي تَنْدَرِجُ فِيهِ الْآيَةُ،
يَتَعَلَّقُ بِمَصِيرِ الْفُجَّارِ إِلَى سُوءِ الْعَاقِبَةِ ﴿إِنَّ
كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ [٧: المطففين] وَمَصِيرِ

للبحثري: "فإذا أخذتَ في مديح سيّد ذي أيادٍ فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبنُ معالمه، وشرّف مقامه؛ ونصّد المعاني، واحذر المجهول منها، وإيّاك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة، ولنكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد"^(٧٢)، وحاصل هذا القول أن "الشوب الذي تتبغي خياطته هو ثوب جماعي يمكن لكل الأجسام التي تنتمي لنفس الجسم الاجتماعي أن تلبسه"^(٧٣).

وإذا كان شأن مديح الرؤساء والسادة، عامة، على ما بيّناه من النمّجة، فإن مديح المخاطب والإشادة بكتابه وما خلّع عليهما من أوصاف، في رسالة المنيح، لا يخرج عن هذا المضمّر. ويترتب على هذا أن التنافس الذي ذكرته الرسالة ليس في حيازة كتاب المخاطب، بل في حيازة الأوصاف التي خلعت على هذا الكتاب، كما كان التنافس، في الآيات، في النعيم الذي ظفر به الأبرار ووصفه الله سبحانه، وليس في كتاب الأبرار الذي تضمن وصف مصيرهم إلى النعيم المقيم.

وباعتبار ما تقدّم، تكون تلبية شرائط الجودة والإبداع الأدبيين هي رهان التنافس الذي ذكرته الرسالة، وميدان الصراع السجالي بين المتنافسين. ويترجّح أن ينحصر التنافس، هنا، بين طرفين: المتلفّظ والمخاطب أو -بحسب ما اصطلحت عليه السيميائية في النّمّذج العمليّ (= الفاعلي)^(٧٤) - بين "فاعل" وهو المتلفّظ:

المروّوس، و"فاعل مضاد" وهو المخاطب: الرئيس. وكل منهما يستظهر بـ "عامل مساعد" هو كتابه إلى الآخر ويرمي إلى "هدف" هو الفوز بصفة الإبداع. والتنافس بينهما سينجلي عن فوز أحدهما وخسارة الآخر. وحال الفائز تتوازي مع ما كانت الآيات، فيما تقدّم، قد بشرت به من حسن عاقبة الأبرار، وحال الخاسر تتوازي مع ما نهت عليه من سوء عاقبة الفجّار.

وينبني على انخراط الرسالة في سلّك الأدبية أن تنفصل الذات المتلفّظة وذات السيد، المدرّجتان في النصّ، عن مرجعيهما خارج النصّ، لتستحيل الذات المتلفّظة إلى "ذات الخطاب" المُمثّلة لدور الفاعل، وتستحيل ذات السيد إلى ذات مُمثّلة لدور الفاعل المضادّ، وتشكّل كلّ منهما رهنً بهيئة التلفظ وبصورة العالم التي يرسمها النصّ، لا بالشروط التاريخية التي تتعلق بالمؤلف وسيرته، ولا بما روي من مناسبة المكاتبة.

٤. الخاتمة:

يسعنا إجمال وظائف الخاتمة عامة في وظيفتين رئيسيتين: الأولى أن تؤكد مدار القول وغرضه، والثانية أن تبسط أسئلة جديدة وتفتح على أفق جديد. وأما خاتمة رسالة المنيح فقد اضطلعت بالوظيفتين؛ إذ إنها أكدت، في ظاهر الكلام، ما عرضت له قبل من إعلاء شأن المخاطب الأديب وتفضيله على أهل المعرفة

عامة، وعلى المتلفظ خاصة. وقد ذكر المتلفظ أن ما سيعرض له في الخاتمة ما هو إلا تشييع وتأكيد لما مضى من القول "وأُتبع قولي لما مضى، وأُشيعه إذا انقضى بأن أقول: إن كنت أوطأت نفسي في تفضيله عشوة، أو بعيت على إظهار الحق رشوة، فمُنيت بالحاصب، والعذاب الواصب، ... ومن الغباوة مباحاة الشمس بسراج، ... وإن أدبي لينظر إلى أدبه نظر جرباء العنوق إلى جرباء العيوق، وأين الماء من السماء، وموقع السيل من مطلع سهيل ...»^(٧٥).

وكان من الممكن أن تظل الخاتمة على هذه الوتيرة، من تقرير أفضلية المخاطب، لولا الحكمة التي جعلت آخر جملة في رسالته: "ولن يهلك امرؤ عرف قدره"^(٧٦). فهذه الحكمة تهدم ما بنته أجزاء الرسالة المتقدمة من توقع في ظاهر الكلام، وتنتفتح على سؤال جديد يتعلق بهوية المقصود بهذا الخطاب؟ أي من ذا الذي لن يهلك إذا عرف قدره؟ أهو -بحسب ما ينكشف عنه ظاهر القول- المتلفظ الذي يصف قدر نفسه، في مدارج الأدب، بأنه متواضع لا يمكنه أن يطاول قدر المخاطب "السيد"؟ أم هو المخاطب الذي لا يمكنه أن يضاهي المتلفظ في رفعة أسلوبه وقدرته على تصريف الخطاب، وعليه حينئذ أن لا يصدق المتلفظ في تفضيله إياه على نفسه في فني النثر والشعر؟.

وباعتبار ذلك ينبثق سؤال جديد هو: هل كان المتلفظ، في عنايته بتدبيج رسالته، يرمي إلى تحدي مخاطبه فعلاً لا ادعاء؟. إذا صدق ذلك فإن المقصد الضمني، للحكمة التي انتهت بها الرسالة، يتجه إلى ضد ما انكشف عنه ظاهرها؛ وهو أن على "السيد" أن يعتبر بلاغة الكتاب الذي سيصل إليه وبراعة المتلفظ في تدبيجه، وساعتئذ يكون قد عرف قدر نفسه ونجا من الهلاك.

ويندرج في هذا المعنى ما دعا به المتلفظ على نفسه، في آخر الرسالة، وهو أن يرمى بالحصى أو بالبرد الدائم إن كان تفضيله مخاطبه على نفسه خداعاً أو طمعاً في رشوة. وربما يكشف دعاؤه عن خشيته أن يفهم تفضيله المخاطب على أنه من رسوم مخاطبة السادة وذوي الجاه ومصانعتهم؛ ولذلك عمد إلى دفع ما يساور السيد من الشك في ذلك التفضيل، لكن هذا الدفع شَفَّ عما خشيته.

❖ النص: بين الخطاب والخطاب المضاد:

يقترض جلاء ما تتطوي عليه رسالة المنيج من خطاب أو خطاب مضمّر (= مضاد) أن نأخذ في درس المنحى الموضوعاتي للنص، والمنحى الثقافي، ثم نأخذ في جلاء مظاهر الخطاب ومظاهر الخطاب المضاد.

المستوى الموضوعاتي:

ونقصد بالمستوى الموضوعاتي المعجم

ولعبوا القمار، وتسابقوا إلى الفوز به، كما تسابق الناس إلى الفوز بكفالة مريم البتول، وكما تسابقت نساء النبي ليخرج بواحدة منهن^(٨٠).

ويشيد ببلاغة السيد، وتفوقه على الكتاب ممن جاء قبله، أو كان من أهل المعرة، فكأنه في بلاغته أسد هجم عليهم، فعجزوا عن مدانته، وقد اتفق له ما لم يتفق لغيره، من عناصر البلاغة، كال فصاحة والطبع وسهولة الألفاظ وجزالتها، والسجع الذي ينساب على السجية؛ ولذلك فإنه أحق الناس بإضاعة النبراس لمن شاء أن يقتفي سنته في الكتابة؛ إذ إنه تمرس بالحكمة منذ نشأ. وعلى كل متأدب أن يجعله قبلة للأدب ومحافل للذاكرة^(٨١). ويثني على تواضعه، فهو مع ما يمتاز به من منزلة رفيعة "غير حافل بما أتى ولا معتقد أنه استعلى"^(٨٢).

ويذكر ما أصابته المعرة وأهلها من فضل، في خلال إقامة السيد فيها: فقد شرفت على غيرها من البلاد. وهي بعد رحيله كوعاء العطر يذهب عطره وتبقى رائحته الطيبة، فما تزال محامده وفضائله ماثلة فيها^(٨٣). وكانت المدة التي أمضاها في المعرة سبب شهرتها، ولما رحل عنها بقي أرجه، وهي، في ذلك، تشبه شهري ربيع سميا بذلك أول الدهر ثم أخذت تنتقل بهما الحال بحسب دورة القمر، ولكن "أبت الألقاب التغير بممر الأحقاب"^(٨٤). وكان يمكن للمعرة أن تكون معيناً للأدب، لولا أن التربة والأحجار لا تتخلق بأخلاق

الذي اشتملت عليه الرسالة، وهو، على ما ذهب إليه محمد مفتاح، الموقع الأكثر ضعفاً والمعنى الأكثر وضوحاً^(٧٧)، وهو يشف عن دوائر الوجود الكبرى التي ينطوي عليها النص^(٧٨). أي أنه الفكرة المجردة التي تتعلق بخطاب الرسالة المباشر أو السطحي. وأهم محاوره في هذه الرسالة:

١. موقف الذات من الآخر: وهو يتمثل في موقفين:

• شوق الذات إلى الآخر: وهنا يبث المؤلف مخاطبته (السيد) شوقه إليه، ويصفه بأنه كشوق العجوز الفانية إلى أيام الشباب، وشوق الأسيرة المنتشقة إلى عيش الغانية في بيتها وبين أبويها، وشوق المريض إلى الشفاء. ويصف فرحه بالسلام الذي خصه به السيد في كتابه، هذا السلام الذي لو مر بالأشجار العارية لأورقت، أو مرت بالحجارة المتقدة لصارت ندية^(٧٩).

• الإقرار بتفوق الآخر: يثني المؤلف، في بداية رسالته، على السيد الذي من أجله أنشأ الرسالة، فيصف أدبه بأنه يغمر كل من حوله، ويصف ذكاءه بأنه لامع ينير ظلمات الليالي، ثم يذكر السبب الذي جعله يثني عليه وينشئ هذه الرسالة من أجله، وهو أن السيد ألقى إلى أهل المعرة كتاباً وصفه، المؤلف، بأنه كله مسك وبأن قراءته عبادة، وهو من القيمة بحيث يتنافس الناس في اقتنائه تحصيله، ولولا تحريم الإسلام للقمار والميسر لكانوا تياسروا عليه

ما بينهما من تباعد كالذي بين الماء والسما^(٩٠).
ويُذكرُ المُتَلَفِّظُ مخاطبَه السيدَ بما وعده
به من إنتاجه الأدبي وإبداعه، ويخبره بأنّه
لما يزل ينتظر^(٩١).

٢. موقف الآخر من الذات:

• إشادة الآخر بالذات: ويصف المُتَلَفِّظُ
شعوره لذكر السيد إياه في كتابه، فهو صنيعة
يعجز عنها الشكر ستظل منه على ذُكرٍ؛ لأنها
غرست في نفسه السرور^(٩٢). ثم يغض من
شأن نفسه، فيذكر أن أدبه ما هو إلا قطرة في
بحر أدب المخاطب^(٩٣). ويفصح عما انطوى
عليه قلبه من حب وإعظام لمخاطبه، وتُمْنَى
لو أنه اطلع على ما يكنه له قلبه؛ ذلك أنه أوتي
مفاتيح الحوار، وليس لأن والده قديم الفضل
عليه. ويُقدِّمه ليس على المُحدِّثين من الكتاب
والشعراء حسب؛ وإنما على القدماء أيضاً؛
لأنه لا عبرة للقدم أو الجدة في التفوق^(٩٤).

هذه هي محاور الخطاب التي انكشفت
عنها البنية الأفقية للرسالة، لكن النصّ، في
بنيته العميقة، قد لا ينقاد لنا كما انقاد في
بنيته الأفقية؛ ذلك أن بعض مواضع المراوغة
ستحملنا على إعادة النظر فيما بناه المستوى
الظاهري من التوقع.

المستوى الثقلي: رصيد النصّ وإعادة الإنتاج:

تتكشف رسالة المنيح عن وجوه من
العلاقات والقيم الاجتماعية والأنساق الثقافية،

الجار، ومن الظلم تكليف أهل المعرفة التشبه
بأخلاق السيد^(٨٥)، والمعرفة لا تستأهل أن يكون
عقدًا في مقلدها "والحق أن توضع الأمور في
نصابها وتعطى لأربابها"^(٨٦). ويشيد باهتمام
المخاطب بأحوال المعرفة، مع ما يفصله عنها من
جبال وسهول، وذلك بما يرسله من كتب^(٨٧).
ويفاضل بين المخاطب ومن تُرَيَّن له
نفسه أن ينافسه، فعِي منافسيه أطول من رداء
العروس. ويلتمس للناس العذر في استناتهم
لما هم فيه من العي وعدم الإبانة؛ إذ لا يجوز
تكليفهم ما لا يستطيعون، ولا يعني قصورهم
عن الإبانة أن تُحرّم عليهم الكتابة؛ ولكن كل
من يَحْتَشِدْ لمنافسة المخاطب إنما هو كمن
يُفني شبابه هباءً^(٨٨). ثم إن العدو يتربص بهم
الدوائر ويحاصر منطقهم، والخطر الذي
يعرض لهم شامل لا يكفل لهم أن يكون فيهم
نجابة "فقليل العلم منهم يُستظرف ويُستغرب
ولا يكاد يُعرف"^(٨٩).

• تواضع الذات بإزاء الآخر: يؤكد المُتَلَفِّظُ،
لمخاطبه، في خاتمة كتابه أن مدحه إياه لم يكن
إظهاراً للبراعة وحشداً للألفاظ؛ فهو، مهما
بلغ من الأدب، لن يعدو كونه عبده في التأليف،
ويسأله ألا ينظر في رسالته بالنقد، وأن يتجاوز
عثرته. ويؤكد أنه لم يبالغ في مدحه إياه ولم
يبتغ من قول الحق رشوة، وهو في غنى عن
الكذب في مدحه كغنى الغلام عن الاختصاب
بالحناء. ويؤكد تفوق السيد عليه في الأدب وأن

وكذا تتكشف عن بعض القضايا النقدية والبلاغية. وكل ذلك يندرج فيما سماه بعض النقاد "رصيد النص" ويقصد به ما يُلْمَح إليه النص من قيم اجتماعية وأنساق ثقافية وأعراف أدبية^(٩٥). ولسنا نرمي إلي مجرد تقصي هذه القضايا والقيم والأنساق؛ ولكننا نرمي، في المباحث القابلة، إلى امتحانها في ضوء البنية العميقة للرسالة، واكتناه ما يَسْتَكُنُّ فيها من إمكانات لإعادة إنتاج المعاني الأدبية.

قضايا اجتماعية:

إن ما وقع من ألفاظ التعظيم والتفخيم، في هذه الرسالة، يشير إلى طرف من النسق الثقافي والاجتماعي لذلك العصر فيما ينطوي عليه من سُنَن (= شفرات) المجتمع وقيمه في رسوم العلاقات بين فئاته وطبقاته، على مختلف مراتب الناس ومنازلهم. ومن تلك الألفاظ: "سيدنا" و"حضرة السيّد الحَبْر" و"حضرتة الجليّة" و"سيّدنا الرئيس الأجل"^(٩٦).

وفي محاولة تفسير شيوع هذه الألفاظ، في رسائل أبي العلاء، ذهب عبد الجليل عبد المهدي إلى أن ذلك "يعود إلى ما ارتكبه أبو العلاء من المبالغات التي رأى فيها غلوًا وشططًا فيما بعد"^(٩٧). وذهب محمد نبيه حجاب إلى أن سبب ذلك، هو أنه في هذا العصر، نُقلت إلى العربية تقاليد الكتاب الفرس، فأخذ الكتاب العرب يغرقون في ألفاظ التفخيم والتعظيم في مخاطبة الخلفاء والوزراء، ثم خطوا خطوة

أوسع فعمدوا، في مخاطبتهم، إلى الكناية عوضًا عن التصريح بأسمائهم؛ تنزيهاً لها عن ذكرها^(٩٨).

ويتبين، مما تقدم، أن الباحثين اشتغلا بالفحص عن مصادر تلك الألقاب. وأما ما نَرُوهُ فَصَرَفُ العناية إلى الفحص عن وظيفتها من حيث إنها تَلَفُظُ محكوم بشرائطه المنتجة لخطاب النص.

معارف علمية:

يعرض المتلفّظ في تضاعيف رسالته لبعض المعارف العلمية، وقد يرى فيها عكس ما أجمع عليه أهل عصره، من ذلك معارضته اعتقادهم أن المطر يسقط بعد أن يجتذب الهواء أجزاء البخار^(٩٩). وذهب طه حسين إلى أن هذه المعارضة هي تبرؤ مما يخالف رأي الجماعة؛ وسببها أن حرية أبي العلاء العقلية لم تكن قد نضجت في طور الشباب^(١٠٠).

قضايا أدبية ونقدية وبلاغية:

تتطوي الرسالة على جملة من القضايا والمسائل النقدية والبلاغية التي تَشْفُ عن أفق التوقع الذي يَسْتَكُنُّ في ذهن المتلفّظ، والذي يصدر عنه في أحكامه النقدية، ومن هذه القضايا والمسائل ما هو عام، ومنها ما هو خاص.

ومن القضايا العامة:

- مسألة الأجناس الأدبية وأغراضها: تنقسم الفنون الأدبية، بحسب الأنظار النقدية القديمة،

المسألة الثانية فهي أن المبالغة، في تفصيل المخاطب على جملة الأدباء القدماء والمحدثين، مبعث شك من جهة أنها تقدح بمصادقية المتلفظ؛ لأنها تملق مفزوح لا مخرج له في جواز العقول. ثم إنها مساع للقول عن الوظيفة التي تضطلع بها في بناء المعنى.

ومن المسائل الخاصة بالعمل الأدبي ومزاياه وسماته:

- مسألة السجع: والسجع من الأساليب والسُنن (= الشفرات) الجماعية، في ذلك الزمان، وهو من دواعي تفاضل الأدباء. وقد عمد المتلفظ إلى ذم السجع المتكلف الناتج عن غير طبع وبديهة، مُشيداً بسجع مخاطبه؛ لأنه جار على السجية. يقول: "وقد كان فيمن مضى قوم جعلوا الرسائل كالوسائل وتزيّنوا بالسجع تزيّن المحوّل بالرجع، ما رُقوا في درجته، ولا وضعوا قدماً على محجّته، لكنهم تعايّنوا فما تباينوا، وتناضلوا فما تفاضلوا، ولو طمعوا في الوصول لاختاروا الرّتب على الرّتب، ورضوا اعتساف السبيل وارتشاف الوبيل ليدركوا بطلبهم ما أدركه عن غير جدّ واعترفه من بديه العدّ، فكلهم لو شاهده يرضى بأن يدعى السكّيت في حلبة سيّدنا فيها سابق الرّهان، ويتمنى أن يكون زجاً في قناة هو منها موضع السّنّان" (١٠٦).

ورأى طه حسين أن ما بدا من تناقض في ذمّ المتلفظ السجع المتكلف، مع التزامه

إلى جنسين رئيسين: النظم الذي ينحصر في الشعر، والنثر الذي تدخل فيه فنون مختلفة أشهرها الترسل والخطابة. ولكل جنس من الجنسين سنّته (شفراته) المخصوصة التي تميّزه من الآخر، وكذا لكل فن من فنون النثر سنّ تميّزه مما سواه (١٠١)، وقلم يتفق التمكن من فنون الجنسين وأغراضها مجتمعة لأديب واحد، وإذا اتفق له ذلك كان من علامات نبوغه وعلو شأنه. وإذا كان الأمر كذلك فلم عمد المتلفظ في الرسالة إلى وصف المخاطب بأنه "مالك أعنة النظم والنثر" (١٠٢)، وبأن طبعه "راض صعاب الأغراض حتى ذلّلها" (١٠٣). وهل يقع ذلك في مضمار المبالغة حسب أم أنه يرمي إلى معانٍ تخرج عن مقتضى الظاهر؟

- قضية القديم والحديث التي تداولها النقاد القدماء. والمتلفظ لا يرى لقدماء الأدباء أفضلية على محدثيهم؛ إذ "ليس النصر بقديم العصر ولا التجديد بذهاب أبد الأبيد" (١٠٤)؛ ولذلك نراه يفضل مخاطبه ليس على المحدثين حسب، بل على القدماء أيضاً. وهذا الموقف ينفتح على مسألتين: الأولى أن رأي المتلفظ، في هذه القضية، قد يغري الباحثين بالاشتغال ببيان موقع أبي العلاء من آراء النقاد القدماء فيها. وقد بينون على ذلك أنه يحتذي حذو من انتهج سبيل الاعتدال فيها، من أمثال الجاحظ (١٠٥). فيغفلون استكشاف صلة هذه القضية بالبنية العميقة للنص وما يترتب عليها من معان. وأما

إياه في ترسله، دليلٌ على أن "ملكته في النقد لم تكن قد نضجت بعد" (١٠٧) في طور الشباب. وطه حسين في تفسيره للتناقض إنما عوّل على تاريخ الكاتب، ولم يربط ذلك التناقض بمقاصد الخطاب. وهو ما سنقف عليه في مبحث "النص وسلطة الخطاب".

- مسألة غريب اللغة: يمتدح المتلفظ أسلوب المخاطب بأنه يبتعد عن الغريب، فيقول: "وأبسّ بوحوش اللغات فأهلها" (١٠٨). وهو، في امتداحه هذا، يخالف ما جرى عليه مذهبه في الترسل من الإغراق في الغريب والوحشي.

وقد استدعى تكلف الغريب في ترسل أبي العلاء أنظار كثير من الدارسين القدماء والمحدثين، فخلعوا عليه وعلى صاحبه أوصافاً متعددة، فقد وُصف صاحبه بأنه مؤسس مدرسة الألغاز والأحاجي (١٠٩)، ووصف نهجه بأنه من قبيل "التحنُّق التعبيري" (١١٠)، ووُصف ترسله، لتمييزه بهذا الأسلوب، بأنه "تماذج خاصة من العربية" (١١١)، ووُصفت طريقته بالتنطس في الإشارات اللغوية (١١٢).

ومن أمثلة ما اشتملت عليه الرسالة من أوابد اللفظ وغريبه: الغرقى، القرصاب، أزام، الغفر، الغفر، الظّالِع، المَوارِن، الإلاحة، الكابية، اللاغب، المقاء (١١٣).

- السهولة والرقّة والجزالة: ويمتدح المتلفظ ما ينماز به أدب المخاطب، عامة، من سهولة الألفاظ وجزالتها، وما ينماز به غزله، خاصة،

من الرقة. يقول: "فصار حزنُ كلام العرب إذا نطق به سهلاً، وركبكه إن أيده بصنعتة قوياً جزلاً" (١١٤)، ويقول: "إن تغزّل فحنين العود وإن تجزّل فهدير الرعود" (١١٥).

ومن المسائل الخاصة بالأديب التي تعد من جماع آتته، في نظر المتلفظ - وكان الجاحظ، من قبل، صرف إليها عناية كبيرة (١١٦):

- الحوار والارتجال: وقد جاء الكلام على الحوار في خلال تأكيد المتلفظ حبه لمخاطبه "لما أوتي من أقاليد الحوار" (١١٧)، وجاء الكلام على الارتجال في حديثه عما يتفوق به المخاطب عليه "ومن لنا باللفظ المشوّف، يمثل عليه التمثيل على الحروف، فتكلف ألبابنا اقتضاب العسير وركوب ما ليس ببسير" (١١٨).

- الفصاحة والإبانة: وهما متشاكلان في الرسالة. وقد عرض المتلفظ للفصاحة في حديثه عن تأثير بلاغة المخاطب في أهل المعرفة. يقول: "وإنما غرقوا في لُجّ التّبانة فصمتوا، وسمعوا صواعق الإبانة فخفتوا" (١١٩). ويقول: "والفصاحة من عند أهلها مُتّارة" (١٢٠). أما أهل المعرفة فلم يمتلكوا ناصية الفصاحة ولا الإبانة، فقد "راموا تصريف الخطاب فصرّفوا" (١٢١).

- العيّ والعُجّة والحُبسة: وهذه الأمور تتعلق بمقاييس الفصاحة عند النقاد العرب القدماء. وقد خلعا المتلفظ على كل من زينت له نفسه، من أهل المعرفة، أن يحاول منافسة مخاطبه. يقول: "فعيّهم أطول من رداء العروس، ووعيّهم

أَبْكَأ مِنْ دَرِّ الْخُرُوسِ^(١٢٢)، ويقول: "فإن العُجْمَةَ لِأَسْهَلُ مِنَ الْبُكْمَةِ، وَالْحُبْسَةُ أَقْلُ ضَرَرًا مِنَ الْخُرْسَةِ"^(١٢٣).

النَّصُّ: من خطاب السلطة إلى سلطة الخطاب:

ينجلي تحقيق النظر في الرسالة عن خطابين متضادين: أما الأول فالخطاب الذي يشي به ظاهر النص من تساوق المتلفظ مع خطاب السلطة، وركونه، على الأكثر، إلى التدابير (= الاستراتيجية) التضامنية التي ترمي إلى التعبير عن مبلغ تقرُّبه من المخاطب وتقديره إياه. وامتثاله ما يقتضيه ذلك من "قوانين التأدب" التي تُحقِّق التضامن المنشود، ومقتضى هذه القوانين التعفف والتودد والتخيير واللباقة والسخاء والاستحسان والتواضع والموافقة والتجانس^(١٢٤). وأما الثاني فالخطاب المضاد الذي ينجلي عن محاولة المتلفظ فرض سلطته، بالركون إلى التدابير (= الاستراتيجية) التلميحية، وما يترتب عليها من المعاني والدلالات المضمرة.

النَّصُّ وخطاب السلطة:

ومن الأدلة، على التدابير التضامنية التي تساق خطاب السلطة، ما اشتملت عليه الرسالة من العلامات السيميائية، والألفاظ المعجمية، والأساليب اللغوية والبلاغية، والشواهد النصية^(١٢٥). وأهم تلك التدابير:

١. استعمال الألقاب:

كوصف المخاطب بـ "سيدنا" و"حضرة السيد الحبر" و"حضرتة الجليلة" و"سيدنا الرئيس الأجل والده" و"أسد البلاغة"^(١٢٦). وجل هذه الألقاب يشير إلى البون الاجتماعي بين المتلفظ والمخاطب، أي بين المرؤوس والرئيس، وهذا يكشف عن أن المتلفظ محمول، ضرورة، على امتثال ما تقتضيه مواضع مخاطبة السلطة التي يمثلها المخاطب، فهو إنما يصدر عن رسوم "خطاب السلطة" التي تقتضي أن يركن إلى الاستراتيجية التضامنية. ووصفه المخاطب بأنه أسد البلاغة يندرج في المضمار السلطوي نفسه؛ لما للأسد من منزلة في الغابة.

٢. استعمال الألفاظ المعجمية الدالة على التراتبية الاجتماعية:

كوصف المتلفظ نفسه بـ: الولي والعبد. ووصفه المخاطب بـ: حضرته وجنابه. نحو قوله يصف شوقه إليه: "وَلَمْ يَزَلْ لَوَلِيَّهِ إِلَى جَنَابِهِ جَنَبُ الْعَانِيَةِ إِلَى عَيْشِ الْغَانِيَةِ"^(١٢٧)، وقوله: "وَرَأَى وَلِيَّهِ أَنْ ضَرْبَةَ اللَّازِمِ عَلَى الْمَتَادَّبِ الْحَازِمِ اتَّخَذَ آثَارَهُ ... مَحَاضِرَ لِلْأَدَبِ"^(١٢٨)، وقوله: "وَهَلْ أَبْلُغُ أَنْ أَدْعَى فِي تَأْلِيفِ الْقَوْلِ عَبْدَهُ"^(١٢٩)، وقوله: "وَلَوْ أَنَّ شَوْقَ حَضْرَتِهِ تَمَثَّلَ فَمَثَلٌ، وَتَجَسَّمَ حَتَّى يُتَوَسَّمْ لِمَلَأَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ"^(١٣٠). ويلاحظ أن ما تقدم، من الألفاظ المعجمية الدالة التي وصف بها

المتلفظ نفسه، تتضمن نكراناً للذات، ثم إنها تقترن بضمير الغائب المعدول فيه عن المخاطبة بالكاف، ويرمي استعماله، في سنن المكاتبات العربية، إلى تعظيم المخاطب^(١٣١)، وهو أحد الأساليب اللغوية لتحقيق التضامن.

٣. الدعاء:

نحو قوله: "جعل الله لشأنه كوكب الرجم، أدام الله عزه، أدام الله تأييده، بقي ووقي"^(١٣٢). وقد جاء جل هذه الأدعية جملاً اعتراضية؛ وهي على ذلك تشير إلى مبلغ حضور المخاطب في ذهن المتلفظ. واقترائها بضمير الغائب يشير إلى تعظيم المخاطب.

٤. الخطاب غير المباشر:

وهو الخطاب الذي يشير إلى أن المتلفظ يلتزم، في خطابه، المسافة المعتبرة بينه وبين مخاطبه وفق شرائط التراتبية الاجتماعية، ومن ذلك قوله: "ولقد هممت باسترفاد حضرته البهية من بدائعه ما يفضل المال ويكون الجمال، فعداني عن ذلك إعظامي له واستحقاري نفسي، وارعوت بي الهيبة إلى إرمامي وكفي، وأبى الله أن يكون التفضل إلا من قبله، فوعد التشریف بما سح من المنثور والمنظوم، فللقلوب إلى وعده هيام الظامية إلى النطفة الظامية"^(١٣٣). فقد عدل عن الطلب المباشر، إلى المخاطب، أن يرسل إليه ما وعده من بدائعه؛ لما بينهما من المسافة الاجتماعية، فعمد إلى الخطاب غير المباشر، بحسب قانون التخيير

الذي يقتضي أن يدع المرسل مجال خيارات المخاطب مفتوحاً؛ كي يتسنى له أن يتخذ هو نفسه قراره^(١٣٤).

٥. اعتماد بعض الطرائق البلاغية:

وأهمها المقابلة، والتوازن والتوازي، والجناس، والتمثيل:

§ **المقابلة:** وهي من أهم الأساليب التي يتوسل بها المتلفظ إلى إقناع المتلقي بأنه ينزل المخاطب المنزلة التي يستحقها؛ وذلك في سبيل التقرب منه. وتتواتر المقابلات في الرسالة، على نحو لاقت للنظر، في ثلاثة أنحاء: الأولى المقابلة بين المخاطب ومن سواه ممن سبقه من الكتاب في أسلوب السجع، فسجعه عن بديهة وسجع غيره عن تكلف، وهو المتقدم عليهم وسابق الرهان^(١٣٥).

وأما النحو الثاني فالمقابلة بين أدب المخاطب وأدب أهل المعرة عامة، من ذلك قوله في مقابلته جزالة كلام المخاطب بركاكة كلام أهل المعرة: "وهيهات بعدت محال الغفر الطالع عن مزال الغفر الطالع، وأعجز البارق يد السارق، وجلت الشموس عن سكنى الرؤوس"^(١٣٦).

وأما النحو الثالث فالمقابلة بين أدب المخاطب وأدب المتلفظ نفسه، نحو قوله: "ومن أنا حتى يصفني بالنقل ... هل أدبي في أدبه إلا كالقطرة في المطرة، والنحلة عند النحلة،

فالتوازن -وكذا التوازي- فيما تقدّم، يشتغل سيميائياً من حيث هو علامة أيقونية (= علامة مُماتلة أو مُشابهة) لأطراد صفات الممدوح وتوازن شخصيته، واطراد صفات كتابه، واطراد أحوال أهل المعرفة من الصمت والحيرة؛ بسبب بلاغة كتاب المخاطب التي أحرصتهم. والتوازن والتوازي ينحيان بالنص نحو الشعرية والأدبية، وكذا ينحيان به منحى حجاجياً من شأنه أن يساعد على إقناع المتلقي بمناقب المخاطب، وبسوء أحوال أهل المعرفة، وبما بين الطرفين من بون شاسع في الفنون والآداب.

§ الجناس: والجناس، أيضاً، من أساليب الحجاج البلاغية التي ترمي إلى إقناع المتلقي بمكانة الممدوح وتواضع منزلة المتلفّظ، من طريق المقايسة بينهما. ومن ذلك قوله: "ولو طمعوا في الوصول لاختاروا الرتب على الرتب" (١٤٤). فالتجنيس بين "الرتب" و"الرتب" يشير إلى إمكان اختلاط الأمور عند من يحاول منافسة الممدوح؛ ذلك أنه لم يعد يميز ما يفضي إلى خشونة العيش وضعة المنزلة، ممّا يفضي إلى الرتب العالية؛ فقد بدا له الأمران متشاكلين؛ بسبب تقارب الكلمتين في المبنى.

ونحو ذلك قوله: "وهيهات بعدت محال الغفر الطالع عن مزال الغفر الطالع" (١٤٥). فالتجنيس بين "الغفر" و"الغفر" يشير إلى إمكان أن يخلط المرء بين منزلة القمر العالية ومواقع

وإنما صاحب الدرهمين غني عند صاحب درهم، والأفطس أشم في تخيل الأكشم" (١٣٧).
§ التوازن والتوازي: وهما من الطرائق البلاغية للتضامن، ويندرج فيهما فنون بديعية كثيرة، منها السجع، والنشطير، والازدواج، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، والتسميط، والتجزئة، والتشريع، والتقويف (١٣٨). وقد هيمنت هاتان السمتان على جل أجزاء الرسالة (١٣٩). من ذلك ما جاء في خلال الكلام على صفات المخاطب (١٤٠):

و	امتطى	به	عزمه	كند	الريح
و	حكم	له	سعدته	بالسقي	النجيل

ومنه ما جاء في وصف كتاب الممدوح (١٤١):

و	أجل	عن	التقبيل	ف	ظلاله	المقبلة
و	نزهة	عن	أن يبتذل	ف	نسخه	المبتدلة

ومنه كلامه على تأثير كتاب المخاطب في أهل المعرفة؛ فقد لجم هذا الكتاب ببلاغته أسنتهم (١٤٢):

و	غرقوا	في لُج	التبابة	فصمتوا
و	سمعوا	صواعق	الإبابة	فخفتوا
ف	قلم	كاتبيهم	عود	النكات
و	جواب	بليغهم	حيرة	الساكت

ومنه ما جاء في وصف ما بلغه أهل المعرفة من سوء الحال، من جهة فنون الأدب (١٤٣):

ف	وجد في وطنه	أشباح	أوزان	تتخيل
و	أنقاء	أذهان	تتهيل	

زل ولد الأروى. أي أنه قد يظنهما شيئاً واحداً. والمقايضة هنا بين المنزلة العالية للممدوح، والمنزلة المتضعة لمنافسه الذي يحبو ويتعثر ومثله في ذلك مثل ولد الأروى.

§ التمثيل: والتمثيل، على ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني، تشبيه من طريق العقل والقياس يجمع بين الشئيين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة^(١٤٦)، ومن فوائده أنه "إن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"^(١٤٧). ومن فوائده إقامة الحجة على صحة وجود الحكم وزيادة تأكيده وتقديره، أو بيان مقداره والكشف عن حدّه ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان، من طريق القياس^(١٤٨). ويرمي، على ما يراه المناطقة، إلى إثبات حكم لأمر لثبوته في آخر؛ لعلّة مشتركة بينهما^(١٤٩).

ومن أمثله قوله في خلال كلامه على بلاغة الممدوح: "... فصار كلام العرب إذا نطق به سهلاً، وركيكه إن أيده بصنعه جزلاً قوياً، فمثله مثل جارسة الكحلأ بالمسابب الملاء، تطعم الغرب وتجود بالضرب، وتجني مرّ الأنوار فيعود شهداً عند الاشتيار"^(١٥٠). فالمتلفظ هنا يثبت صحة وجود ما قد يدعى بأن وجوده ممتنع أو مستحيل، من تفرد ممدوحه بما خصّه الله به من طبع جعله يتميّز من سائر الناس، ويحتج لإثبات قدرته على إحالة غريب كلام العرب وصعّبه إلى حال السهولة،

وإحالة ركيكه إلى حال الجزالة، بأن وجود مثل تلك القدرة ممكن، كما في النحلة التي تحيل ما تتناوله، من الأعشاب والأشجار ومرّ الأنوار، إلى عسل.

ومن أمثله قوله في وصف شوقه إلى الممدوح: "ولم يزل لوليه إلى جنبه جنب الغانية إلى عيش الغانية، وأنضاء الإغلال إلى إفضاء الإبلال"^(١٥١). والغاية هنا ليست إثبات وجود الشوق؛ ذلك أن وجوده غير ممتنع، ولكن الغاية هي بيان مقدار الشوق ومبلغه في القوة، من طريق تمثيله بحال مشهورة، كشوق المرأة العجوز إلى الشباب، وشوق المريض إلى الشفاء.

٦. **الشواهد النصية:** ويؤتى بالشواهد النصية للتوضيح وتقوية حضور الحجة ودرجة التصديق^(١٥٢)؛ ذلك أن هذه الشواهد، لما تمتاز به من استقرار في الثقافة العربية، ذات سلطة فاعلة في نفس المتلقي. وقد تكون العلاقة التناسبية بين النص والشواهد ظاهرة وقد تكون باطنة. فمن الظاهر وصف المتلفظ السلام الذي بلغه من جهة الممدوح بأنه سلام يصاحبه الأمن: "أحسب سلامه السلام الذي ذكره جلّ اسمه في قوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [٤٦: الحجر]؛ ومنه قوله يصف ما بلغه أهل المعرة من الضعة في فنون الأدب، بالقياس إلى فنون الممدوح، فقد يسمى بعضهم أدبياً وليس له من الأدب إلا الاسم، فهو كمن يطلب

المستحيل. ثم يستشهد بقول مجنون ليلي^(١٥٣):

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ

مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ

أي أن حال من ينافس الممدوح، في فنون الآداب، وهو ليس أهلاً لذلك، كحال من يتعقب بنظره، في الصباح، نجماً مغرباً، وهو أمر مستحيل. فهذان الشاهدان إنما يزيدان من حضور الحجة ودرجة التصديق.

ومن أمثلة العلاقة الباطنة وصفه حال تنافس محبي المخاطب على الظفر بكتابه، وتياسرهم عليه بقوله: "أَحْسَبُهُمْ يُوقِعُونَ عَلَيْهَا السُّهْمَةَ الْوَاقِعَةَ عَلَى كَفَالَةِ الْبَتُولِ"، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

هذه أهم أساليب التضامن التي اشتملت عليها الرسالة، وقد التزمت فيها، بحسب ظاهر القول، قوانين التأدب المنبثقة من نظرية الوجوه التي تقتضي أن يحرص المرء، في مضمار التفاعل الاجتماعي، على الحفاظ على ماء وجهه محاوره؛ كي لا يعرض ماء وجهه الخاص للخطر^(١٥٤). وهذه الأساليب تكشف عن مبلغ خضوع الذات المتلفظة، في خطابها المباشر، لقوانين المؤسسة الاجتماعية وتقاليدها وطقوسها التي تُعين للذوات صفاتها وأوارها الملائمة، وتراقب إنتاج الخطاب وترسم حدوده الإرغامية^(١٥٥).

النص وسلطة الخطاب:

إذا كان درس النص، على ظاهره، ينكشف عن مساوقة المتلفظ لخطاب السلطة، مع ما يقتضيه ذلك من التزام الاستراتيجية التضامنية، فإن درس بنيته العميقة يُجلي عن أن المتلفظ قد انتهك بعض قوانين الخطاب المتعارفة في حال التضامن^(١٥٦)، وعمد إلى الاستراتيجية التلميحية؛ في سبيل فرض سلطته باستعمال الخطاب، وفي سبيل إبطال خطاب الآخر. ومما يحمله على امتثال هذه الاستراتيجية ما بينهما من بون اجتماعي شاسع يحول دون اعتماد التصريح.

وانتهاك بعض قوانين الخطاب يُدرج النص فيما يسمى "الحجاج الانفصالي"؛ أي الحجاج المبني على الإخلال بوحدة المفهوم، بالفصل بين عناصره المتعاضدة ظاهرياً؛ وهو ما يفضي إلى وقوع التباين بين الظاهر والمضمر^(١٥٧). ومن أهم مظاهر الانتهاك:

١. التناقض المنطقي:

ويكون ذلك بأن يُثبت المتلفظ شيئاً وينفيه، وهو من صور المغالطة الحجاجية^(١٥٨)، ويندرج في مضمار انتهاك قانون الكيف، ومؤداه: لا تقل ما تعتقد كذبه، ولا تقل ما يعوزك الدليل عليه^(١٥٩)؛ فالتناقض قد يكون مدعاة إلى رمي من يقع فيه بالكذب. ومن أمثلته في الرسالة التناقض بين الغض من أهل المعرفة في ميدان الآداب، والادعاء بأنهم اعترفوا

سجع هؤلاء فإنما هو عن معاناة وكذا لضعف مُنتهِم وقلة مادّتهم؛ وهذا هو سبب وصْفِه سَجْعُهُم بالتكلف، وهو أيضاً سبب كون السيّد سابقهم في الرهان. ولكن النصّ ينطوي على مقايضة ضمنية بين ما مُدِح به السيّد من غزارة البديهة وكثرة المادة -وقد يكون هذا المديح تملّقا لا يُظاْهره دليل فعلي- وما ورد على لسان المتلفّظ من سجع فعليّ يدل على معيّن من المواد لا ينضب. وعندئذ فإن المتلفّظ سيسبق السيّد في الرهان. وعلى هذا ينتقي ما بدا لنا من تناقض.

ومن التناقض العملي أيضاً ما ذكرناه، فيما قبل، من امتداح المتلفّظ أسلوب المخاطب في ابتعاده عن الغريب، مع ركونه -أعني المتلفّظ- إليه. والتغريب أيضاً ينتهك أحد قوانين الخطاب، وهو "قانون الطريقة أو الجهة" وحاصله: تجنّب الغموض في التعبير، لتحتزّر من الاشتباه في اللفظ، لتتكلم بإيجاز... (١٦٤).

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن أبا العلاء كان، في جملة نثره، يقصد إلى التغريب قصداً (١٦٥). وذهب آخرون إلى أنه لم يكن يتعمده (١٦٦). وقد استشر أبو العلاء، على الأرجح، ما تكنّف لُغته من الغريب فاصطنع لها الشروح التي تُنلّلها، من نحو كتابه "خادم الرسائل". وأثبت إحسان عباس، في حواشي الرسائل التي حققها، شروحا رجّح، في المقدمة، أنها لأبي العلاء نفسه (١٦٧).

بعلو منزلة السيّد في الميدان نفسه، كقوله: "على أنهم قد راموا تصريف الخطاب فصّروا وعرفوا مكان فضله فاعترفوا" (١٦٠)، وقوله في موضع آخر: "فقليل العلم منهم يُستطرف ويُستغرب ولا يكاد يُعرف" (١٦١). فكيف يستطيع من كانت منزلته، في العلم، على هذه الصفة من الضعّة، أن يعترف أو يشهد بمنزلة رجل موصوف بأنه أسد البلاغة؟! أليس فاقد الشيء لا يعطيه؟.

وباعتبار ذلك تكون الشهادة ناقصة، وهي تنقص من قدر المخاطب. وذكر المكان (المعرة) وأهله، مع الميل إلى استخدام اللفظ الحسي المُجسّد، إنما يرمي إلى تقوية حضور الحجة بإنشاء "عالم ممكن" (١٦٢) مُتخيّل -وليس عالماً حقيقياً محاكياً لعالم التجربة- ليكون شاهداً حاجبياً على تفوّق المخاطب؛ من أجل التملق.

٢. التناقض العملي:

ويكون ذلك عندما تناقض أقوال المتلفّظ أعماله، وهو أيضاً من صور المغالطة الحجاجية (١٦٣). ومن أمثله ما ذكرناه، فيما قبل، من تناقض في ذم المتلفّظ السجع المتكلف، مع التزامه إياه في رسالته.

وإذا رجّعنا النظر في النصّ وجدنا أن المتلفّظ يُقايِس -تصريحاً- بين سجع السيّد وسجع من تقدّمه، في الزمان، من القوم، فسجع السيّد بدهي يغترفه من ماء لا ينقطع، أما

٣. الإطناب:

والإطناب كالتغريب ينتهك "قانون الطريقة"، ويعدل عن قصد الوضوح في التبليغ؛ ذلك أنه من أسباب الوقوع في التناقض، فـ "كلما قل الكلام قل خطر التناقض" (١٧١). ومن دلالات الركون إليه في النص أنه يتيح للمتلفّظ مجالاً فسيحاً للتعمية، وتملّك سلطة الخطاب وبيان قدرته على التصرف فيه، خاصة أن الحوار بينه وبين مخاطبه ليس مباشراً، وهذا مما يهيئ له قدرًا أكبر من الهيمنة.

٤. المبالغة والمغالاة:

وهما ينتهكان "قانون النزاهة" ومؤداه: فلنكن مشاركتك صادقة (١٧٢)، و"قانون الكم" ومؤداه: لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته (١٧٣). وأمثلة المبالغة في تعظيم المخاطب في الرسالة كثيرة، منها قوله: "فإنه أولى الناس بإضاءة النبراس" (١٧٤)، وقوله: "على المتأدّب الحازم اتخاذ آثاره ... مشاهد للأدب محضورة ومحافل بالمذاكرة معمورة" (١٧٥). ومن ذلك ما بيناه، قبل، من المبالغة في وصف تفوقه على أهل المعرفة أو على جملة القدماء والمحدثين، في جنسي الشعر والنثر، وفي الحوار والارتجال، والفصاحة والإبانة، والمبالغة في وصف من سواه بالعبيّ والعجمة والحبسة. وما وقع هنا من المبالغة والمغالاة من شأنه أن يهدد وجه المخاطب؛ وسبب ذلك أن كلام المجاملة عرضة للتأويل على أنه نفاق

ثم إن مسألة الغرابة إنما تتقرر باعتبار ما استعمل من لغة الأدب في العصر نفسه، وباعتبار ما استعمل في العصور المتعاقبة، أي بالقياس إلى مبلغ انزياح لغة المؤلف، في صنيع متعين أو في جملة صنائعه، عن السمت العام الذي تتماز به اللغة الأدبية في عصره أو في العصور المتقدمة المتعاقبة. وإجماع الباحثين على إغراق أبي العلاء في التغريب، إنما هو دليل على أن هذا التغريب ظاهرة أسلوبية مائزة تبعث الباحث على التماس التفسير المناسب لشيوعها، في رسالته هذه خاصة.

ويندرج تكلف الغريب الذي اتسمت به لغة هذه الرسالة، في مضمار مضاهاة الذات للآخر خاصة، وإلا فكيف نفسر التناقض بين إغراقه في الغريب، هاهنا، وامتداحه المخاطب بسهولة ألفاظه وبابتعاده عن الغريب. وقد التفت إلى باعث أبي العلاء على ذلك، في جملة نثره، بعض القدماء، فهذا البطليوسي، وهو واحد من شارحي "سقط الزند" يذكر غايته فيقول: "أراد أن يري معرفته بالأخبار والأنساب، وتصرفه في جميع أنواع الأدب" (١٦٨) ولذلك "مزج المطبوع بالمصنوع، فتعقدت ألفاظه وبعدت معانيه" (١٦٩). وعلى هذا بعض المحدثين (١٧٠). وعلى ذلك، يصبح امتداح المتلفّظ للمخاطب، بسهولة ألفاظه وبابتعاده عن الغريب، أقرب إلى الذم منه إلى المدح.

في رأيه هذا، أنزل الكلام منزلة الكلام الحقيقي، وعوّل على تاريخ الكاتب في تفسير التبرؤ، ولم يربط ذلك بمقاصد الخطاب المضمر.

ونحن نرى أن هذه الجملة الاعتراضية تلَفُظٌ خيالي مرهون بعالم النص الذي ورد فيه، وهي وثيقة الصلة بالمعنى المضمر الذي يُشكّل ما اصطَلَحنا عليه "الخطاب المضاد". ويترتب على وقوعها في هذا السياق انقلابُ المعنى الظاهري إلى الضد، فالمتلفُظ لا يؤمن بمضمون ما مثَّلَ وشبَّه به تَمَكَّنَ المخاطب من الطبع، فإذا كان مضمون المشبَّه به غير صحيح، فإن مضمون المشبَّه غير صحيح، أي أنه إذا لم يكن صحيحاً أن الهواء يجتذب البخار ويحوِّله إلى أمطار، فإنه ليس صحيحاً أن المخاطب يُحوِّل كلام العرب إلى كلام سهل، وركيكه إلى جزل قوي. وبهذا الاعتبار ينقلب الأمر إلى التعريض بدل التعظيم.

٦. حضور الأنا:

ومن علامات حضور الأنا أن المتلفظ جعل نفسه حكماً على منزلة مخاطبه وإيداعه، وقد ظهر ذلك في جل أجزاء الرسالة، ولكن أشدها ظهوراً ما اقترن بتاء المتكلم، كقوله: "وَفَكَّرْتُ فِيمَا لَا يَنْتَقِضُ مِنَ الْفَكْرِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ عَقْدٌ لَا يَصْلُحُ لِمُقْلَدِّهَا"، وقوله: "وَأَحْلَفُ وَحَلْفِي تَسْبِيحٌ حَتَّى اسْتَجْهَلَنِي الَّذِي لَا يَعْلَمُ، وَتَكَلَّمَ فِي تَضْلِيلِي مَنْ تَكَلَّمَ، لِأَنِّي مَا اقْتَنَعْتُ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى الْأَحْدَاثِ دُونَ سُكَّانِ الْأَجْدَاثِ" (١٨١). وهذا

وتملق (١٧٦). وعليه فإن غاية المتلفظ، من المبالغة، هي أن يرفع من شأن نصره على المخاطب؛ إذ لا قيمة لنصره على من هو دونه.

٥. بعض الجمل الاعتراضية:

قد نقضي الجملة الاعتراضية إلى غموض العبارة التي ترد في سياقها، وقد تستلزم معنى مضمرًا فتنتهك لذلك "قانون الكيف"، وقد تبدو، في ظاهرها، غير وثيقة الصلة بالعبارة، فتنتهك بذلك "قانون العلاقة" (١٧٧). من ذلك قوله: "وَحَصَّه بَارئُهُ -تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- بِطَبِيعِ رَاضٍ صِعَابِ الْأَغْرَاضِ" (١٧٨)، فقد جاءت الجملة الاعتراضية في سياق المبالغة الشديدة؛ وهي في موضعها هذا تُشَبِّهُ أن تكون اعتذاراً عما اضطر إليه المتلفظ من التملق؛ بادعائه أن الله خصَّ مخاطبه بالطبع دون سائر الناس. والسياق، على هذا، يتضمن تشكيكاً فيما وصفه به.

ومنه قوله: "فصار كلام العرب إذا نطق به سهلاً، وركيكه إن أيده بصنْعته جزلاً قوياً ... كالهواء -في مذهب لا أعتقده، وقول سِوَايَ يُسَدِّدُهُ- يَجْتَذِبُ أَجْزَاءَ الْبَخَارِ فَيَسْقِي مِنْ تَحْتِهِ الْأَمْطَارَ" (١٧٩). وقد تبدو الجملة الاعتراضية، في هذا المثال، غير وثيقة الصلة بسياق التلَفُظ، وقد تبدو -على ما قاله طه حسين- مجرد تبرؤ حقيقي مما يخالف رأي الجماعة؛ ذلك أن حريته العقلية لم تكن قد نضجت في طور الشباب (١٨٠). وطه حسين،

بمقتضى إكراهات المؤسسة الاجتماعية؛ وسلطة الخطاب التي يُمتثلها ما تضمنته الرسالة من أمارات إبداع المتلفظ، ومن معانٍ مضمرة تشي بضد ما انكشف عنه ظاهر النص من التملق والإشادة بإبداع المخاطب.

ويشتمل النص، فضلاً عما تَقَصَّيناهُ من صور خرق قوانين الخطاب وصور الحجاج الانفصالي، على عبارات تشي برغبة المتلفظ في فرض سلطته باستعمال الخطاب، منها قوله: "وأَقْدَمْتُ على حَضْرَتِهِ بِالْمَكَاتِبَةِ لِأَنِّي إِلَيْهَا مَا أَنَا عَلَيْهِ لَا تَكْتَرًا بِرِصْفِ الْمَنْطِقِ عِنْدَهُ"^(١٨٣). فَفَنِيَهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَكْتَرًا بِرِصْفِ الْمَنْطِقِ، يُوَكِّدُ مَا نَفَاهُ وَيَعْضُدُ مَا جَلَوْنَاهُ مِنْ خُطَابٍ مُضْمَرٍ. وَهَذَا النَّفْيُ مِنْ قَبِيلِ مَا قَالَهُ ابْنُ سَهْلٍ^(١٨٤):

هِيَاهُ لَا تَخْفَى عِلَامَاتُ الْهَوَى

كَادَ الْمُرِيبُ بِأَنْ يَقُولَ خُذُونِي
لَقَدْ حَاوَلْتُ الذَّاتَ، بِوَسَاطَةِ الْكَلِمَاتِ، أَنْ
تَتَحَرَّرَ مِنْ هَيْمَةِ خُطَابِ الْآخَرِ، وَتَقْرَضَ
خُطَابَهَا الْخَاصَّ. فَالْخُطَابُ يُظْهِرُ الرِّغْبَةَ
وَيُخْفِيهَا، وَهُوَ أَيْضًا مَوْضُوعُ الرِّغْبَةِ، وَهُوَ
لَيْسَ فَقَطْ مَا يَتَرَجَّمُ الصَّرَاعَاتُ أَوْ أَنْظِمَةُ
السَّيْطَرَةِ، لَكِنَّهُ مَا نَصَارِعُ مِنْ أَجْلِهِ وَمَا نَصَارِعُ
بِهِ، وَهُوَ السُّلْطَةُ الَّتِي نَحَاوِلُ الْاِسْتِيلَاءَ
عَلَيْهَا^(١٨٥).

وباعتبار ما تقدم يترجَّح عندنا أن ما
تضمنه العنوان (المنبج) من معاني الخسارة،

الحضور يخرق بعض قوانين التهذيب والتأدب
التي تقتضي أن يكون الأمر بالعكس مما ورد
في هذه العبارة، أي أن يكون المخاطبُ
(السيد) هو الحكم على المتلفظ وصنائه. ويشف هذا الخرق عن رغبة الذات في فرض
سلطتها الخاصة.

ومن علامات حضور الأنا إلماح المتلفظ
إلى أن المخاطبَ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ: "وَذَكَرَهُ عَبْدُهُ
بِمَا يُشْبِهُ مِنْهُ صَنِيعَةً يَضِيقُ عَنْهَا بَاعُ
الشُّكْرِ ... إِنْ كُنْتُ أَنْتَشَيْتُ فَالْتَّمَلُ يُقَوِّي الْأَمَلَ
أَوْ أَغْفِيْتُ فَالْوَسْنُ يُرِي الْحُلْمَ الْحَسَنَ"^(١٨٦).
وَذَكَرُ السَّيِّدِ الْمُتَلَفِّظُ هُوَ اعْتِرَافٌ مِنْهُ بِمَنْزِلَتِهِ؛
ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ مُضْطَرًّا إِلَى ذَلِكَ، أَمَّا اعْتِرَافُ
الْمُتَلَفِّظِ بِمَنْزِلَةِ السَّيِّدِ فَقَدْ يُعَدُّ مِنْ قَبِيلِ النِّفَاقِ
وَالْاضْطِرَارِ.

ينجلي البسط المتقدم عن أن صور انتهاك
الخطاب وصور الحجاج الانفصالي تشي بما
يضمّره النص من خطاب مضاد يهيئ للذات
المتلفظة أن تقرض سلطتها الخاصة. وهذا
يؤكد الفرض الأولي الذي اقترحناه في كلامنا
على العنوان، وهو أن النص يتأسس على
البنية الدلالية (الفوز والخسارة) التي تتضمن
صراعاً سجالياً بين برنامجين: لـ "فاعل"
وهو المتلفظ، والثاني لـ "فاعل مضاد" وهو
المخاطب. والصراع، فيما نرى، هو بين
خطاب السلطة الذي تمثّل فيما صدرَ عنه
المتلفظ من التملق للمخاطب والإشادة بإبداعه،

ينجلي، بعد مدارسة النص، عن خسارة المخاطب وفوز المتلفظ.

الهوامش:

- (١) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢٨.
- (٢) انظر: منصر، نبيل، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ط١، دار توفيق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص٢١، ٢٥.
- (٣) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص٤٤.
- (٤) انظر: المرجع السابق، ص٤٦ - ٥٠؛ ومنصر، نبيل، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص٢٧ - ٢٨.
- (٥) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص٤٦ - ٥٠؛ ومنصر، نبيل، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص٢٧ - ٢٨.
- (٦) انظر: تعريف القدماء بأبي العلاء، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، إشراف طه حسين وآخرين، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١١١، ٥٣٣.
- (٧) انظر: عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحياة الأدبية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري، ط١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٧م، ص٤٥١؛ ورزق، صلاح، نشر أبي العلاء: دراسة فنية، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٦٤. والجندي، سليم، نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي

العلاء، مجلة الهلال، دار الهلال، مصر، ج٨، السنة ٤٦، ١٩٣٨م، ص٩٤٨ - ٩٥٠.
(٨) انظر: حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ط٦، دار المعارف، مصر، ١٩٣٦م، ص٢١٤.

(٩) حجاب، محمد نبیه، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط٢، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٦٥م، ص٩١.

(١٠) انظر: السامرائي، إبراهيم، مع المعري اللغوي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨٧.

(١١) يُنظر على سبيل المثال: القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د. ط، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٥م، ج٦، ص٣٢٤ - ٣٢٦.

(١٢) انظر: حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص٢١٤. يشير إلى قول أبي الغلاء: "ولا لأن سيدنا الرئيس الأجل والده -أدام الله سلطانه- سبق من الإفضال بما ربّق، وقدّم...". المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي، (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧م)، رسائله، تحقيق عبد الكريم خليفة، د. ط، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، ١٩٧٧م، ج١، ص٦٩؛ وتحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص١٧٦.

- (١٣) انظر: المعري، رسالة الإغريض وتفسيرها، تحقيق: السعيد السيد عبادة، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٥.
- (١٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٥.
- (١٥) انظر: المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٨٤ - ١٨٥.
- (١٦) انظر: حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ٢١٤ - ٢١٥.
- (١٧) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص ٥١ - ٥٤.
- (١٨) المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٤٦.
- (١٩) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص ١١٨ - ١٢٠، ١٢٣؛ واسمهر، الهاشم، عتبات المحكي القصير في التراث العربي الإسلامي: الأخبار والكرامات والطرف، ط ١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨م، ص ٧٩ - ٨٠.
- (٢٠) انظر: المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٤٥.
- (٢١) المرجع السابق، ص ١٤٥. وانظر: القصيدة في شروح سقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، إشراف طه حسين، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، القسم ٣، ص ١٠٤٦. والنص المقتبس في رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، ط ١٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٣٢.
- (٢٢) انظر: المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٤٥.
- (٢٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (٢٤) المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٤٥.
- (٢٥) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٦.
- (٢٦) يُنظر في ذلك: القلقشندي، صبح الأعشى، ١٩١٥م، ج ٦، ص ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٤٩.
- (٢٧) انظر: كيليطو، عبد الفتاح، الكتابة والتناسخ، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط ١، دار التنوير، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٣ - ١٤.
- (٢٨) انظر: اسمهر، الهاشم، عتبات المحكي القصير، ص ٥٨.
- (٢٩) لتعرف مناحي صورته عند القدماء انظر، على سبيل المثال، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ١، ٥، ٧، ٨، ١٢ - ١٣، ١٦ - ١٧، ١٨ - ١٩، ٢٨ - ٣١، ٣٨ - ٥٠، ٦٧، ٧٦ - ٧٩، ١٠٠، ١٨٢، ١٤٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٧ - ٢٢٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧ - ٢٦٩، ٢٨٥ - ٢٨٩، ٢٩٧ - ٣٠٠، ٣٠١ - ٣٠٤، ٣١٢ - ٣١٥، ٣٢٠ - ٣٢٢، ٣٢٦ - ٣٢٧، ٣٢٩ - ٣٣٠، ٣٣١ - ٣٣٤، ٣٣٤ - ٣٣٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٩ - ٣٧٠، ٤٤١، ٤٤٦ - ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٢٧، ٥٤٢، ٥٤٨، ٥٥١ - ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٦٩ -

٥٧٠. ولتعرّف صورته عند المحدثين انظر على سبيل المثال: موضوعات المقالات والدراسات التي نوقشت في: المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقّي، ١٩٤٥م، ص ٣٠، ٤٨، ١٦٤، ٢١٧، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٢٢، ٣٦٢، ٣٧٥.
- (٣٠) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص ٦٧، عن: Loe Hoek, la marque du titre, dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle, ed. La haye mouton, paris, 1981, p. 17. وانظر: حليفي، شعيب، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠.
- (٣١) الوظيفة الشعرية ليست خاصة بجنس الشعر حسب، بل تقع خارج الشعر، أيضًا، فيما سواه من فنون القول انظر: ياكسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط ١، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ٣٥.
- (٣٢) انظر: مفتاح، محمد، دينامية النص: تنظير وإنجاز، ط ٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص ٧٢.
- (٣٣) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص ٧١.
- (٣٤) انظر: المرجع السابق، ص ٧١ - ٨٨.
- (٣٥) انظر: المرجع السابق، ص ٧٦؛ وحليفي، شعيب، هوية العلامات، ص ١١.
- (٣٦) ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان (ت القرن الرابع)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م، ص ١٩١.
- (٣٧) انظر على سبيل المثال: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٢٢٠ - ٢٣١، ص ٢٦٦ - ٢٧٠، ص ٢٧٤ - ٢٧٩، ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ص ٣١٢ - ٣٢٢، ص ٣٢٧ - ٣٤٣.
- (٣٨) انظر: بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص ٧٩ - ٨٢.
- (٣٩) انظر: الجزار، محمد فكري، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص ٦٨.
- (٤٠) انظر: قطوس، بسام، سيميائية العنوان، وزارة الثقافة، مكتبة كتانة، إربد، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٣٩.
- (٤١) انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الميسر والقداح، ط ١، دار المعارف، تونس، ١٩٩٦م، ص ٣٦.
- (٤٢) انظر: المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤.
- (٤٣) الأعشى، ميمون بن قيس، شرحه وعلق عليه: محمد محمد حسين، ديوانه، مكتبة الآداب القاهرة، ١٩٥٠م، ص ١٤٥.
- (٤٤) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص ٥٧.
- (٤٥) انظر: المصدر السابق، ص ٥٦؛ وابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ، ١١٦٦م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر

- عباس، ط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، م٧، ص٣٢٧.
- (٤٦) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، (منج)، ص٦٠٧ - ٦٠٨.
- (٤٧) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص٨٢؛ وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، م٧، ص٣٢٧؛ وابن منظور، لسان العرب، (منج)، ج٢، ص٦٠٧ - ٦٠٨.
- (٤٨) عروة بن الورد العبسي، شعره، تحقيق: محمد فؤاد نعناع، ط١، مكتبة دار العروبة، الكويت، مكتب الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٨. كذا روى ابن السكيت البيت، وروايته في: تميم بن أبي بن مفضل، ديوانه، تحقيق: عزة حسن، د. ط، دار الشرق العربي، حلب، سورية، ١٩٩٥م، ص٤٢: "خليع لحام".
- (٤٩) السهيلي، عبد الرحمن (١١٨٥/٥٨١م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، د. ط، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م، ج٥، ص٣٠١.
- (٥٠) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (منج)، ج٢، ص٦٠٨.
- (٥١) الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، شعره، جمعه داود سلوم، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م.
- (٥٢) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص٥٧ - ٥٩.
- (٥٣) عمرو بن قميئة، عمرو بن قميئة بن ذريح البكري (ت نحو ٥٦٠م)، ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٥م، ص٣٠. المقرومة: القداح المعلمة بحز أو عض. المغالط: قداح الميسر.
- (٥٤) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص٥٩.
- (٥٥) تميم بن أبي بن مفضل، ديوانه، ص٤٢.
- (٥٦) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص٦٦.
- (٥٧) عروة بن الورد العبسي، شعره، ص٤٧.
- (٥٨) عروة بن الورد العبسي، شعره، ص٤٧ - ٤٨.
- (٥٩) انظر: ابن قتيبة، الميسر والقداح، ص٧١ - ٧٢.
- (٦٠) يُنظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ، ١٠٠٣م)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص٦٩٤.
- (٦١) انظر: الجزار، محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، ص٨.
- (٦٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج١، ص١٤؛ و(تحقيق عباس)، ج١، ص١٥٥.
- (٦٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج١، ص١١ - ١٢؛ و(تحقيق عباس)، ج١، ص١٥٤.
- (٦٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج١، ص٢٧؛ و(تحقيق عباس)، ج١، ص١٦٠.
- (٦٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج١، ص١٥٤.

- ص ١٢؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٤.
- (٦٦) أثبتت البسملّة في رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣؛ وأسقطت في (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (٦٧) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (٦٨) انظر: العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ، ١٣٤٨هـ)، عُرِف التعريف في المكاتبات، درسه وحققه: سمير الدروبي، د. ط، دار ابن الجوزي، عمّان، ٢٠٠٨م، ص ١٩١ - ١٩٣؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.
- (٦٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٨؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (٧٠) انظر في التوازن والتوازي: العمري، محمد، تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية في الشعر، د. ط، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٠م، ص ١٤٣ - ١٥٩.
- (٧١) يُنظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)، تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢٤؛ وفخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٣١، ص ١٠١.
- (٧٢) الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٥٤٣هـ/١٠٦١م) زهر الآداب وثمر الألباب، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م، ج ١، ص ١٤٧.
- (٧٣) كيليطو، عبد الفتاح، الكتابة والتناسخ، ص ٣٦.
- (٧٤) انظر: غريماش، الجريداس جوليان، في المعنى، ترجمة نجيب غزاوي، د. ط، مطبعة الحداد، اللاذقية، ١٩٩٩م، ص ١٠٤ - ١٠٨، و كورتيس، جوزيف، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة: جمال الخضري، ط ١، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ١٠١ - ١١١.
- (٧٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٨١ - ٨٢؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٨٠. أوطأته عشوة: إذا غررته وغششته. والحاصب: من قولهم حصبة إذا رماه بالحصباء، وهي الحصى، وتسمى الريح التي تحمل الحصباء حاصباً لأنها تحصب الناس به، أي ترميهم، ويقال للسحاب ذي البرد: حاصب لأن البرد يُشبّه بالحصى. الواصب: الدائم. العنوق: جمع عناق من المعز، وجرباء العيوق: هي السماء، والعيوق: اسم نجم.
- (٧٦) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١،

- ص ٨٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٨٠.
- (٧٧) انظر: مفتاح، محمد، دينامية النص، ص ٦٠.
- (٧٨) انظر: لوثمان، يوري، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح أحمد، د. ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٢٦.
- (٧٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ١٥ - ١٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٥ - ١٥٦.
- (٨٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣ - ١٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٥.
- (٨١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٤ - ٣٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- (٨٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣١؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٢.
- (٨٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- (٨٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٨ - ٣٩؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٤.
- (٨٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٩ - ٤٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٤ - ١٦٧.
- (٨٦) المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٤٩.
- (٨٧) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٤٦ - ٤٧؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٧ - ١٦٨.
- (٨٨) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٤٨ - ٥٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٨ - ١٧٠.
- (٨٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٠ - ٦٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٣ - ١٧٥.
- (٩٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧٦ - ٨٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٩ - ١٨٠.
- (٩١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.
- (٩٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٠ - ٦٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٣ - ١٧٥.
- (٩٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٦ - ٦٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٥.
- (٩٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٨ - ٧٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٨.
- (٩٥) انظر: إيسر: فولفجانج، فعل القراءة: نظرية في الاستجابة الجمالية، ترجمة عبد الوهاب علوب، د. ط، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص ٦١.
- (٩٦) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١،

- ص ٣، ٨، ١٣، ٢١، ٦٩؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٧٦، ١٧٩.
- (٩٧) انظر: عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحياة الأدبية في بلاد الشام، ص ٥٨٧.
- (٩٨) انظر: حجاب، بلاغة الكتاب، ص ١٧٥.
- (٩٩) انظر: المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٣؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٩.
- (١٠٠) انظر: حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ٢١٦.
- (١٠١) انظر في ذلك على سبيل المثال: المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ١، دار الجيل، ١٩٩١م ص ١٨ - ٢٠.
- (١٠٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (١٠٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨.
- (١٠٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧١ - ٧٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٧.
- (١٠٥) انظر في موقف الجاحظ من قضية القديم والحديث: نجم، ودیعة طه، الجاحظ والنقد الأدبي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة ٥٩، ١٩٨٨م، ١٤٠٩هـ، ص ٤٤٤.
- (١٠٦) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٠. المَحْوِل: الصبي أصابه الحَوْل.
- والرجع: خطوط الوشم. الوبيل: الماء الثقيل. اعتساف السبيل: على غير هدى.
- (١٠٧) حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ٢١٦.
- (١٠٨) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٨٥.
- (١٠٩) انظر: حجاب، بلاغة الكتاب، ص ١٨٣.
- (١١٠) شرف الدين، خليل، في سبيل موسوعة فلسفية: المعري، د. ط، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م، ١٢٧.
- (١١١) السامرائي، مع المعري اللغوي، ص ٩٠.
- (١١٢) انظر: المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٧٢.
- (١١٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٣، ٤٣، ٣٣، ٢٤، ٩، ٨، ٤٠، ٤٤؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٦، ١٦٢، ١٦٦، ١٥٩، ١٥٤، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٦.
- (١١٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨.
- (١١٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٠؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦١.
- (١١٦) يُنظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ، ٨٦٩م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، د. ط، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج ١، ص ٣ وما بعدها.

- (١١٧) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٩؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٦. أقاليد: مفاتيح.
- (١١٨) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٣؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩. المشوف: المجلو. الاقتضاب: ركوب الناقلة لتذليلها، ويناظره، في اللفظ، اقتضاب الكلام، أي ارتجاله. العسير: الناقلة الصعبة وتتصرف الصفة للفظ.
- (١١٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٠؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٧. التبانة: الفطنة.
- (١٢٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٩؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٤.
- (١٢١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٠؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٧.
- (١٢٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٤٨؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٨. أبكاً: أقل. الخروس: القليلة الذر، والخروس: البكر إذا وضعت البطن الأول، وتُصنع لها الخرسة وهي طعام تأكله الوالدة.
- (١٢٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٤٨؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٩. العجمة: عدم الإفصاح في الكلام. الحبسة: تعذر الكلام عند إرادته.
- (١٢٤) انظر في قوانين التأديب: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب:
- مقاربة لغوية تداولية، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
- (١٢٥) انظر تفصيل القول في وسائل التضامن: د. هديسون، علم اللغة الاجتماعي، ت: محمود عبد الغني عياد، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م، ص ٢٠٩ - ٢٣٢. والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٢٦٩ - ٣٢٠.
- (١٢٦) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣، ٨، ١٣، ٢١، ٦٩، ٢٠؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٥٧.
- (١٢٧) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ١٥؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٥. والجنب: الشوق، والعانية: الأسيرة، وتروى الفانية: المرأة المسنة.
- (١٢٨) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٤ - ٣٥؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٣.
- (١٢٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧٧؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٩.
- (١٣٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ١٥ - ١٦، و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٥.
- (١٣١) انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٨، ص ١٣٢.
- (١٣٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ١٣، ٣٢، ٦٠، ٦٨، ٦٩، و(تحقيق

- عباس)، ج ١، ص ١٥٤، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٦.
- (١٣٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٩. وإرمامي: سكوتي. النطفة: الماء الصافي. الطامية: الكثيرة.
- (١٣٤) انظر في الكلام على قانون التخيير: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٠٠.
- (١٣٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٦ - ٢٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٠. وقد أوردنا النص في مبحث المنحى الثقافي: السجع.
- (١٣٦) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٩. والغفر: من منازل القمر، وهو ثلاثة كواكب خفية. والمزال: المزالق. الغفر: ولد الأروى، وهو يزل في مشيه لما فيه من عرج. والرموس: القبور.
- (١٣٧) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦٦ - ٦٧؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٥. والنقل: ضرب من سير الخيل. والأفطس: المنقوش الأنف. والأشم: مرتفع قسبة الأنف. والأكشم: المقطوع طرف الأنف.
- (١٣٨) انظر تفصيل القول في ذلك: الطوانسي، شكري، البديع وفنونه: مقارنة نسقية بنيوية، ط ١، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٠٢ - ١٧٦.
- (١٣٩) انظر في أهمية التوازي: ياكبسون،
- الشعرية، ص ٣٣.
- (١٤٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨. والكند: مجتمع الكتفين من الإنسان والحيوان استعاره للريح.
- (١٤١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٣.
- (١٤٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٠؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٧. والتبانة: الفطنة. والناكت: من يقرع الأرض بعود أو إصبع أو قضيب، وإنما يفعل ذلك عند التفكير.
- (١٤٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦١. وأنقاء: جمع نقا وهو كئيب من الرمل. وتتهيل: تهيل من هنا وهنا.
- (١٤٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٦ - ٢٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٠. والرتب: خشونة العيش.
- (١٤٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٦ - ٢٨؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٠. والغفر: من منازل القمر. الغفر: ولد الأروى، وهو يزل في مشيه لما فيه من عرج.
- (١٤٦) انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، ط ١، دار المدني، جدة، ١٩٩١م، ص ٢٣٦.

- (١٤٧) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص ١١٥.
- (١٤٨) انظر: المصدر السابق، ص ١٢٢ - ١٢٥.
- (١٤٩) انظر: التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيان، تحقيق: علي درجوع، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٠٦.
- (١٥٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨. والجارسة: النحلة التي تلحس النوار. الكحل: عشبة سهلية ترعاها النحل. المسائب: جمع مسأب، وهو إناء العسل. الملاء: جمع ملآن. الغرب: نوع من الشجر. الضرب: العسل.
- (١٥١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ١٥؛ و (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٥. والفانية: المرأة المسنة. الغانية: الشابة التي غنيت بجمالها عن الحلبي. وأنضاء الإغلال: الذين أهزلهم المرض. إفضاء الإبلال: بلوغ الشفاء.
- (١٥٢) انظر: صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف " في الحجاج - الخطابة الجديدة " لبرلمان وتيتيكاه، في ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية
- الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م، ص ٣٣٧.
- (١٥٣) مجنون ليلي، قيس بن الملوّح، ديوانه، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، د. ط، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص ٦٤.
- (١٥٤) انظر في نظرية الوجوه: كيربرات - أوريكوني، كاترين، المضمّر، ترجمة: ريتا خضر، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٤٠٨.
- (١٥٥) انظر: فوكو، ميشيل، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، د. ط، دار التنوير، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٧، ٨، ٢٩.
- (١٥٦) انظر: كيربرات - أوريكوني، كاترين، المضمّر، ص ٤٧٩ - ٥٠٢؛ والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٤٣٧ - ٤٤١.
- (١٥٧) انظر: صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.
- (١٥٨) انظر: النويري، محمد، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، في ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م، ص ٤١٦.
- (١٥٩) انظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط ٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٧م؛ والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٢١، ٤٣٧.

- (١٦٠) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٠؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٧.
- (١٦١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٥٦؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧١.
- (١٦٢) انظر في مفهوم العالم الممكن: إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٦١ - ١٧٣.
- (١٦٣) انظر: النويري، محمد، الأساليب المغالطية مدخلًا في نقد الحجاج، ص ٤١٨.
- (١٦٤) انظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ١٠٤؛ والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٢١، ٤٣٧.
- (١٦٥) انظر: حجاب، بلاغة الكتاب، ص ١٨٣، ١٨٨، السامرائي، مع المعري اللغوي، ص ٩٠.
- (١٦٦) انظر: الجندي، نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي العلاء، ص ٩٤٤.
- (١٦٧) انظر: المعري، رسائله، (تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٣.
- (١٦٨) شروح سقط الزند، ص ١٥.
- (١٦٩) المصدر السابق، ص ١٥.
- (١٧٠) انظر: حجاب، بلاغة الكتاب، ص ١٨٨؛ وعطية، جرجي شاهين، لغة المعري، مجلة الأديب، ج ٦، ١٩٤٤م، ص ٧٢؛ وضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٤، دار المعارف، ١٩٦٥م، ص ٢٦٩.
- (١٧١) كيربرات - أوريكوني، كاترين، المضمّر، ص ٤٢٠.
- (١٧٢) انظر: كيربرات - أوريكوني، كاترين، المضمّر، ص ٣٥٨ - ٣٥٦.
- (١٧٣) انظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ١٠٤؛ والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٢١، ٤٣٧.
- (١٧٤) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٦؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٩.
- (١٧٥) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٣٤؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٦٣.
- (١٧٦) انظر: كيربرات - أوريكوني، كاترين، المضمّر، ص ٤١٧ - ٤١٩.
- (١٧٧) انظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ١٠٤؛ والشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٢١، ٤٣٧.
- (١٧٨) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٢؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٨.
- (١٧٩) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٢٣؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٥٩.
- (١٨٠) وقفنا على هذا الرأي في كلامنا على المستوى الثقافي: رصيد النص.
- (١٨١) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧١؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٦.
- (١٨٢) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٦١ - ٦٥؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ٢٦٩.

- ص ١٧٤. الثَّمَلُ: السُّكْرُ. الوَسْنُ: النوم.
- (١٨٣) المعري، رسائله، (تحقيق خليفة)، ج ١، ص ٧٦؛ و(تحقيق عباس)، ج ١، ص ١٧٩.
- (١٨٤) ابن سهل الإسرائيلي، ديوانه، تحقيق: محمد قوبعة، د. ط، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨٥م، ص ٣٨٨.
- (١٨٥) فوكو، نظام الخطاب، ص ٩.